

# منصور الحلاج

مأساة في خمسة فصول



المشروع القومي للترجمة



85

للشاعر التركي : صالح زكي أقطاي  
ترجمة ودراسة : د. عبد الرزاق بركات  
مراجعة : د. الصفصافي أحمد مرسى





المجلس الأعلى للثقافة  
المشروع القومي للترجمة

# منصور الحلّاج

## مأساة في خمسة فصول

للشاعر التركي  
صالح زكي أقطاي

ترجمة ودراسة  
د . عبد الرازق بركات



## الشخصيات

منصور الحلاج : درويش ، جده مجوسى .  
جلفندان : سيدة على صلة بالجن ، زوج للشيخ خليل  
، وأم لطفل يدعى قدوس .

المقتدر : خليفة بغداد .

حامد العباس : الوزير .

نصر : الحاجب .

أبو عمر : قاضى بغداد .

الجنيـد  
درويشا بغداد  
الشـبلى

وزراء - أمراء - شيوخ - سيدات - جنود - حراس - سجانون -

جن وملائكة .

تدور الأحداث أولا فى موضع يسمى البيضاء بتبريز ثم فى بغداد .



# الفصل الأول

## المشهد الأول

« فى موضع يقال له البيضاء بتبريز ، وفى وقت السحر ... وفى حديقة نصفها يزدان بالورد والزهور ، والأشجار الملتفة ، يجلس منصور فوق سجادة فى السابعة والعشرين من عمره ، يبدو شاحب الوجه ، رقيقاً ، نحيلاً ، عميق النظرات ، ومعه جلفدان فى نفس العمر تقريباً ، ساحرة لها سلطان على القلوب ... يجلسان أمام عين ماء » .

منصور : جلفدان !

ها هى ذى الحياة وردية اللون ،

بريق الزنابق فى المياه ، والخيوط الرفيعة ، والتبر والنضار والنار المضطربة ... كل شىء يتعبد وراء ستار .

وفى السماء سر يضطرم ، والجبال وردية ألوانها ، أخذتها من الورود الحمر فى خمائلها وأغصانها .

جلفدان : أهو العشق ، أم سر يتلظى ، أم الشوق فتش قليلاً عنه ؛ لأننى أخاف التفكير فى سكون الأفق .

منصور : خائفة .. فزعة .. والخائمة بلون الدم !

جلفدان : أزح الستار عن سرك ، واقرأ أسطورتك التى بداخلك لتجعل ذلك العالم السكران يتفرض من حبك .

منصور : تأملى أيتها السيدة السابحة فى الخيال !  
ذلك الرمز الغامض فى اللوحة ، والنقش الموجود فى الصورة ..  
جلفدان : اكشف الرمز شيئا فشيئا  
واحفظ البرعم بالوجد من الذبول  
« يبدأ منصور فى الترنم بصوت خافت حالم هادىء مناجيا الله »  
مناجاة : فى تلکم الأرض ، والأغصان الرطاب  
وفى ماء النهر ذى العباب  
وفى الطرق الطويلة ، والشعاب  
تظهر قدرة الله دون حجاب  
أشجار البلوط ، وقباب السماء  
والشمار التى تميل بأغصانها فوق الغبراء  
والأرض المتشبية مع الفجر بالانداء  
تشرح السر فى جلاء  
فى الذرة عالم لى  
وفى الغيب سلطان لى  
وفى شفق السحر ، ونحل الأصيل  
فرحة للورد ولى



جلفدان : ما فهمت شيئاً من كلامك ؟!

منصور : رددية .. تفهميه !

جلفدان : أشدو هو ، أم زفرة ، أم دعاء ؟

أم هوس يتجدد مع أول أغاريد الطيور ؟

منصور : فى لون الشفق ، وفى تناسق الأغصان

وفى الزنابق الحمر وهى تتهاوى فوق الربى

وفى الطيور حين تنكمش وتتفض فى الرياض الندية

يشعر المرء أن الحياة لحن منسجم النغمات

فأنصتى لصوتها المنبعث فى خفوت وغموض

ومن لا يبصر لا يدرك شيئاً من لحنها

اللحن الأول : قسما بتراب مكة ، وبإثمد المدينة .

قسما بأذان بلال الخاشع

قسما بالريح العطرة التى تهب من أرجاء الحجاز

إنه لزنبقة فى كمها ، وندى يساقط متلألئاً كالفضة ...

اللحن الثانى : أنفاس القدرة الحية من عهد آدم

هى أسطورة غامضة منذ الأزل

هى لحن ، هى روح ، هى أزل ، أضرم فى الأرض اللهب

هى فراشة المصباح ، وآخر كوثر الفراشة .



اللحن الثالث : فاكهة الهند الكثيرة

يغمر الندى أغصانها

وريح عاصف تهب

فيها هلاك كشمير

اللحن الرابع :

ساحرة هي الحياة في المياة الجارية

والتوابل والزنجبيل والزورق

ورياض بغداد ، وقرنفل بابل

كلها عطشى في الربى لكوثر الشرح

جلفدان : كان في قلبي ظل أسود لا أستطيع التحكم فيه

يغشى عيني ، ويصيب رأسي بالدوار

لا يقر في مكان ، ولا يشغله عني شيء

ولا يرضى بهذه الدنيا الفانية

ثم اعترتني حال ، كحال الفراشة المحترقة

حتى شققت أنت بروحك الشافي هذا القلب

فصرت أنهض مع الفجر أتأمل دنيا الأبد

وطردت الشبح الحالك من حياتي

لكأن روحي الآن تخلق من المساء حتى السحر

وكان نهر قلبي اجتاح سدوده . .



منصور : إنا نرقى بهذه القدم سبعا طباقا  
وهناك حريق آخر من الحيرة يضرم هذا السر !  
« جلفدان تتوقف حائرة برهة ، ترمق الأفق الغائم البعيد بعينيها ،  
ثم تقول » ،

جلفدان : هنالك أشباح تحلق من بعيد  
وأرواح تتواعد فى النهر  
وأسمع فى الشفق موسيقى الوجود  
الزرقة ، والأضواء ، والماء  
أرى طريق الخلود فى السماء  
« فى تلك الأثناء يرفع منصور يده من الماء المتدفق من العين ،  
ويغترف غرفة منه يشربها ، ثم يدخل اثنان من الحراس أنيقين فى بزتيهما ،  
فيقبضان عليهما ، ويدفعانهما » .

## المشهد الثانى

« بجوار مدرسة كبيرة بالبيضاء ، وفى ثلاث حجرات متداخلة يصعد  
الناس إليها بسلم ، أمامه لوح خشبى يرتكز على ثلاثة أقدام الحجر  
الصغيرة لإعداد القهوة ، والكبيرة دار للفتوى ، والمتوسطة للانتظار .



يجلس هناك خليل زوج جلفدان ومعه جماعة من المدرسين . وتدخل  
جلفدان مع منصور مقبوضا عليهما . . الوقت بعد صلاة الفجر بقليل . .  
يستبقونها فى حجرة الانتظار مخفورة بالحرس .

**المفتى مصيب أفندى**

**« يطرق برهة ، ثم يرفع رأسه مخاطباً منصوراً »**

أنا رجل قبل الفجر

أنت كنت تريض مع جلفدان

وأنت تعتقد صدق هديانك

وتوهم أنك تدعو إلى الله بكلامك . .

أست شيعياً ولك أتباع ؟ . .

وتزعم أنك لا تبالى بعاقبة أمرك ! . .

وأن الإرادة الكلية . . والإرادة الجزئية

وأساس العقيدة ، هو الحكمة الأولى !

منصور : قرأت فى كلام الجنيد أن كل هذا أمور ظاهرية . .

أنا متعلق بالنور الأول بعينى وقلبى وروحى

ولا أعرف لى ذنبا كسبته ، إلا أننى حلقت فى الملكوت . .

أنا العاشق الأكبر لرب الخلود

كتابى لا يعرف الصغائر ولا الكبائر



لا يعرف إلا أصوات الحق التي تجلجل في ربابى  
أنا قدرة الخالق .. أنا السر المخلوق  
وبقلبي من تجلياته سر يمان  
معنى الوجود ومفهومه من لدنه  
أنا شمعة « ما وراء » و « ماسوى » و « ماعكس »  
أنا الكعبة ، أنا قبلة النور التي لا تخدم نارها  
حكمه تعالى برهة تمتد من الأزل حتى الأبد  
هو جمال الكمال ، وكمال الجمال  
أنت لا يدرك قلبك هذه الحال الخفية  
كل جزء خرج من الكل ، ويعود إليه  
حيثذ يخدم اللهب شيئاً فشيئاً ..  
**المفتى مصيب أفندى : بحسبك هذا !**  
كلامك يناقض الشرع فى الحقيقة !  
وحذار أن تشركنا معك فى هذا الذنب !  
ولا تتجاوز حدود الأدب !  
**منصور : أنا شربت النهر شربة واحدة مع الشبلى**  
فسكرت بماء الكوثر واللدن  
وأعرف أن كلامى لا يوافق شيئاً مسطوراً فى الشرع



ولتعلم أن هناك حقيقة فوق ما سطر . .

المفتى : يا حاجب ! هات البيضاوى والبجوى والتبيان ! .

منصور : دعك من الفقهاء ولا تزعجهم فى رقدتهم

واجمع ما شئت من السطور والصحائف

فالتأويل لا يبلغ الهدف بالتغيير .

المفتى : هل بلغت السيدة هذه الحال أيضا ؟ !

أم ماهى عقيدتها ؟ . . .

فلنسأل ونستوضح . . .

ثم نفسر النص ونشرح . . .

« تدخل السيدة فى صورة تخفى ملامحها وهيئتها ، كما فى الشرع ،

غير أنهم أمروها أن تين عن وجهها . . . فلما نهضت وكشفت عنه شع

من عينيها بريق كبريق ثمار اللوز الناضجة ، وبدت عن وجه ساحر يصرف

العابد عن عبادته . . . ثم دخلت فى رقة وأنفة ، ووضعت نقابها على

النافذة . . . ففاح منها عبير فتن الحضور . . . فسألها المفتى فى صوت

خفيض » .

المفتى مصيب أفندى : لما رأيك نبذت حدود الشرع

والعرف والأمر بالمعروف وراءك ظهريا

كان نصحك علينا أمراً مقضياً .

جلفدان « فى حدة » : ماذا . . . ماذا قلت ؟

أترمينى بالمروق ؟ . . . أنا ؟!

من أبلغك هذا أحمق أخرق . . .

غافل ، آثم ، كل من عد هذا ذنباً

المفتى : فهيا أوقفينا على حالك

واشرحى أمرى فى مقالك . . .

جلفدان : أنا لا أعرف حقيقة أمرى ، أهو رؤيا أم حقيقة ؟

متى رأيت ؟ وأين ؟ وكيف صارت هذه حالى ؟!

لقد تغيرت حياتى فجأة ،

امّحت الألوان أمام عيني يوماً بعد يوم

واعترانى شعور غامض لا أدري كنهه .

وكأنما حلت بقلبي طاقة نور من السماء

عشت هذا الشعور كل لحظة وكل نفس

احترقت به حيناً ، وضقت به حيناً ، وخشيته حيناً آخر

أخذنى من نفسى وأطلقنى فى مهب ريح عاصف

شربت السر من جرة مجهولة ، واغتسلت منها

لست أدري أهى الحمى ، أم الجنون . . . أم السكر ؟!

لقد كتبت الريح نهايتى المجهولة على الأوراق



خرجت ذات ليلة أضرب فى الشعاب ، وما راعنى السكون  
فتلاشى الدخان الأسود من قلبى شيئاً فشيئاً  
وتعشَّقتُ ظلالاً لست أدرى من أين أتت ؟!  
فإذا بقناديل كثيرة تسطع ، وإذا بالطرق كثيرة  
لا بد من الاحتراق التام . . . لا بد من فناء العبد  
هذا كلام يفهمه العارفون . . . العارفون

هبطت الأرض مع أشعة الشمس  
وهطلت مع الندى فوق البراعم الحمراء  
وحلقت مع الطيور فى جو السماء  
صرت سرّاً ، بينما الأغصان تستعمر ناراً  
المفتى : لم تنكرى ، ولم تتأولى ، فافشيت السر  
واعترفت جهاراً ، وكشفت السر . .  
أنت آثمة ، واتبعت الهوى ،  
وأبحت نفسك للعذاب والضنى  
شريكة أنت لهذا المجذوب ،  
واتبعته فيما اقترف من الذنوب  
أطعت النفس فى رغائبها ،  
فتاهت نفسك ، وضل مرشدها ،

أى سند لكلامك مع العرف والشرع والقرآن ؟!

أم بهذا حدثنا المصطفى العدنان ؟!

ويلك كم أنت فى خسران ميين ..

لك فى الدنيا خزى ، وفى الآخرة عذاب مهين ..

ما أحر النار التى ستقلبين فيها ! ،

وما أبعدك عن رحمة ترجينها !

« تبلغ الثورة بمصيب أفندى مبلغها ، وبيننا ينصت الحاضرون

متحفزين ، يجتذب الحرس السيدة ، ويدفعون منصوراً أمام المفتى يتكلم

منصور فى هدوء ويقين ..

منصور : أنت !

لاحظْ لك من الهدى ،

ولعل حياتك سراب وخداع

وتقضى أيامك فى ألم وصراع

الكلمة ،

النغمة ، السر ، السلام

أشياء لا يدركها من يعيشون حياتك ..

مواجيد المعرفة ، وأنوار المراد ، أنفاس تحترق

إنها الصوت الأول .. هبط الأرض طبقاً بعد طبق



العشق شىء مقدس عظيم

لا يحيط به عنصر من طين

وتلك هى المشكلة .. تلك هى المشكلة ..

حقائق الأشياء عنكم محجوبة ، ونحن نطلعُ عليها بالبابنا ..

أنتم لا تعرفون الحبيب والجمال والإيمان ،

ولا تعرفون الشوق والوجد والوجدان ..

أنتم أسرى المجون والفراغ واللهو ،

بل أنتم على الأرض ركام من اللحم ..

فضيلتكم هى الذلة ، وميزتكم هى الغلظة ..

أين أنتم من عفة النفس وسموها ؟!

أرواحكم تركتكم وتلاشت فى الريح ..

وتخشى فى الظلام صوتا يصيح ..

أنتم ظلام ، وذلة ، ولعنة ..

أنتم رياء ، وطمع ، ولوثة ..

« أغضب كلام منصور المفتى والمدرسين وأحنقهم ، لقد طعنهم

بكلامه وأذهب هيبتهم .. لذلك انصرفوا قبل أن يتمه .. أخذ منصور إلى

الحجرة المجاورة .. وأرسلت جلفدان مع زوجها إلى البيت » .

## المشهد الثالث

« خليل وجلفدان ، وطفل لهما فى الخامسة يدعى قدوس . . فى منزل خليل ، الكائن فى ضاحية متطرفة من المدينة ، أمامه حديقة صغيرة ، وخلفه مرعى ، وعلى مقربة منه موضع خرب تتراكم فيه القمامة . . الوقت بعد منتصف الليل . . ينبعث من بعيد نباح كلب ، وصياح ديك ، وبين الفينة والأخرى يصدح طائر ليلى ، وتلمع عينا قطرة سوداء قابعة فوق جدار ، ثم تسترسل فى المواء . . خليل فى الحجرة المجاورة ، وجلفدان ترتب أشياء فى الصوان ، بينما تهدد طفلها بكلام رقيق ، فتشدو له بأغنية عفوية بصوت ملائكى . . هى أغنية من أغانى تبريز القديمة تترنم بها وهى تنظر إلى وجه ابنها » :

ستار النافذة أسود

فكيف يقر جنبى فى مكان أسود ؟!

تجهمت لى الدنيا فى صدر شبابى

فكيف يقر جنبى فى مكان أسود ؟

أنت جلبت لى الشقاء

فكيف يقر جنبى فى مكان أسود

الجبال الثلجية يلف قنانها الدخان

والدنيا نائمة لا تفيق ،



أمامي سجن ، وورائي سجن

هكذا قدر لي القادر

فكيف يقر جنبي في مكان أسود ؟

أنت جلبت لي الشقاء

يتصاعد الدخان في الرياض

وفي رأسي بومة تنعق

رحماك فالموت أهون لي ..

رحماك يا ربي .. رحماك ..

فكيف يقر جنبي في مكان أسود !؟

إنني أنا الستار الأسود !

«يدخل خليل الحجرة ، بعد أن سمع صوت زوجه ، وبكاء طفله ..

وينظر إلى جلفدان في حسرة .. ويقول في حزن » :

خليل : كان الدخان يشق عنان السماء

وبلابل السحر تغرد في روضتي

فحطمت الريح العاصف عشي

وإذا بنصبي شقاء وحرمان

هذا جيبني قد لُطِّخ بالوحل

وتلك أفعى سوداء تطبق على عنقي

فدوت زهراتى ، وخاب أملى  
وتلك يدى تمسك بالغصن .. فأين الوردة ؟!  
سهام المهانة تستقر فى قلبى ..  
وتفشى الطاعون من جبال مجهولة ..  
فهذا قدرى بخلاف قدرك  
أنت أضرمت النار بقلبى أنا ، لا بقلب غيرى  
أنت حطمت هذا العش الدافئ .. دمرته .  
لأنك أدخلت فيه « ذئبا »  
قلبى يَصْلَى سعيراً ، وآهتى ممدودة لا تنقطع  
نعقت البومة فى ليلة مشثومة  
فتهاوت الجبال على عاتقى ..  
ها هما عيناي أصابهما الجحوظ .. فكدت لا أرى  
وأنت قريرة العين ، لا يهملك ما جرى ..  
فما ذنبى يا ترى ؟ ومن يرق لحالى ؟!  
ما كان أجدرك أن ترثى لهوانى ! ..  
أى وباء هذا ؟ .. أى ضنى .. أى سحر أرى ! ..  
أما من طيب لهذا الداء بين الورى ؟!  
حدثينى .. حنانيك ! مزقنى الأستار



جلفدان : هذا سر فوق طاقة البشر ..

«ثم تصمت إعياء دون أن تشرح شيئاً ، وتستمر مترنمة بأغنياتها»

.. .. .

.. .. .

كيف يقر جنبى فى مكان أسود ؟ !

إنى أنا الستار الأسود ..

خليل «فى حدة وثورة» : ما أوحش هذه الحياة الكثيبة الداكنة ..

واللعنة على الوجود والخلق والجملادات الساكنة ..

« ثم يتجه مسرعاً نحو زوجه ، ويقرب وجهه من وجهها »

خليل : أنا لا أريد أن أشارك فى لعنك ورجمك ،

فليفارقنا هذا « الذئب » أولاً .. ،

« ويفادر البيت مع كلماته .. ويصيح منادياً جيرانه ، ويقف أمامهم

كمن يلقي بيانا ، ويزعق فيهم ثلاث زعقات : (اقتلونى .. اقتلونى ..

اقتلونى). تخرج جلفدان وتحيط زوجها بذراعيها ، وعيناها على طفلها ..

تسترضيه وتسترحمه أن يدخل البيت .. فيأبى .. فتتركه ، وتنخرط مع

طفلها فى نشيج مرير ....

وينصرف الجيران حزاني باكين .

قدوس : أماء .. أماء

لا تركينى .. لا تهجرينى .. يا أماء .. أمى

لا .. لا تهجرينى .. يا أماء .. أمى

لا .. لا .. يا أماء ..

لا أم لى إلا أنت يا أمى !

لا تخرجى فى الطرقات حائرة يا أماء ..

أبواب الناس موصدة يا أمى ،

وأنا لازلت فرخا صغيراً ،

تعالى يا أمى .. تعالى

ضمينى إلى صدرك ، خذينى .. طوقينى بحنانك ..

أمى .. لا تركينى .. لا تركينى .

أترضين أن أصبح يا أمى لطيماً ؟!

جلفدان : ولدى .. قدوس !

كفكف دموعك .. ولا تبك ..

إنهم يا ولدى يهيمنون على وجوههم فى الأرض لكى تتم المشيئة ..

لكى تتم المشيئة ..

« وتحتضن ابنها والدمع على وجنتيها .. عندئذ يدخل زوجها ،  
ويقف حائرا يقبع فى أحد أركان البيت يطويهم النعاس .. ومع الفجر  
رأت فى منامها وكأن ملكا زارها وناداه « هيا استيقظى لترحل » فنهضت  
من نومها ورنّت إلى طفلها النائم وزوجها طويلا طويلا .. فاستحشها  
الصوت « هيا فوقتنا ضيق ضيق » فتلقى السيدة نفسها فوق طفلها تغمره  
بقبلاتها .. وقبل أن يستيقظ من فى البيت .. اختطفها الملك وخرج ..  
وبعد الفجر كالعادة اجتمع المفتى والمدرسون لإصدار الفتوى المؤجلة ..  
واتفقوا على أنه لابد أولا من التوبة والاستغفار لكى ترفع العقوبة عن  
« منصور وجلفدان » ، وكانت المفاجأة أنهم لم يقعوا لهما على أثر ،  
فأسقط فى أيديهم ، وعهد إلى الشرطة بالبحث عنهما .

## ستار



## الفصل الثانى

### المشهد الاول

« فى منزل الشلبى الكائن فوق ربوة ببغداد .. يتكون المنزل من طابق واحد ، فيه ثلاث حجرات متواضعة فى أاثاتها وعلى الباب والنوافذ ستائر مزركشة موضوعة فى شكل هندسى .. فى فناء البيت بئر .. وفى أحد جوانبه طريق يؤدى إلى الباب يختفى المنصور من تبرزيز ليظهر فى بغداد .. ويدخل جامع عمر ببغداد بعد صلاة العشاء .. فأبصر الشلبى جالسا بين ساريتين فى الجامع .. فتصافحا وانطلقا معا دون كلام .. ، وذهبا إلى منزل الشلبى .. وكان فى انتظارهما : ذو النور الدمشقى ، وفصيحى قند خارلى والجنىد ، والشيخ أبو كونى ، وأبو نواس المصرى .. وامتد بينهم حبل الحديث فى مسائل الشريعة والطريقة والحقيقة حتى الصباح ، وبعد صلاة الصبح بالجامع قابل منصور النورى ، والشيخ عز الحمدانى ، ودهرى البغدادى ، وعياض البخارى ، والشاعر رشيد الدين البلخى ، وشيخا طاعنا والحاج ترابى .. وكانوا جميعا يعانقونه .. ثم أقبلت سيدة مجهولة ودعتهم إلى مجلس علم فدخلوا لتبدأ الجلسة ..

منصور ومن معه

ذو النور الدمشقى

يطرق برهة ثم يرفع رأسه فى رفق

.....

.....

.....

.....

حسنا .. فلنبداً بالسؤال عن ماهية الله ، ومكانه .. ؟

أبو نواس المصرى : وهل هناك حياة أبدية بعد تلك الحياة ؟

ذو النور الدمشقى : ما معنى الخلود .. والفناء والبقاء ؟

وما مصير الكون والوجود يا علماء ؟

أتصير كل هذه العوالم إلى فناء ؟

ولماذا الوجود .. مادام إلى هباء ؟

الشيخ عز الحمداى : هذا تبسيط ساذج ، وراءه سر مبهم ..

تزدحم به الأكوان ، ويقصر دونه العقل والفهم ..

وفى النهاية حقيقة تتوهج نوراً

وسؤالك يانواس ، طُرح قديماً ! .

عياض البخارى : حسنا .. فهذا أمر جديد ..

الحاج ترابى : وفى أنفسنا جميعا الحق واليقين ..

رشيد الدين البلخى : وعلى كل منا أن يفتش فى نفسه ..

فصيحى : الفطرة تتغير ، وقد تخبو نارها ..

وقضية الخلود تتنوع أشكالها ..

ونار العشق التى فى روحى

تجلو سر الخليفة لى

من عرف نفسه فقد عرفها

والمعنى والرمز يصدران عنها

وفى الذرة تلمع الحقيقة ، رغم صغرها ..

دهرى البغدادى : هذا كلام قديم عتيق ..

شغل الدنيا من عهد آدم يا رفيق ..

ما أقدم فلسفة الدنيا القديمة ! ..

هى حكمة الهند والصين ، ومصر العظيمة ..

ثم كرت دهور ، وجدت أمور

فماتت الروحانية ، ولفها الديجور ..

**« تدخل السيدة المجهولة »**

منصور : فى البقاء فناء ، وفى الفناء بقاء يا أصحاب ..

وأى جدوى للزمان والمكان والبعد والقرب يا أولى الألباب

ليس هناك إلا تجلى القدرة

ليس إلا جلجلة صوت الحق يا أهل الفطنة ..



أنا هو .. وهو أنا .. لكنى عدم

فهو لى كروح حلت فى جسم

عرفت حقيقتى فقلت « أنا الحق »

فتنبهوا يا أهل الغفلة .. ما ثم .. فرق !،

السيدة المجهولة : ما هذا .. هل اعتراك يامنصور حال ؟

أحق هذا ... أم وهم وخيال ؟!

منصور « فى وجد وتدلله » : سرى فى ماء الغدير ، والبدر المنير

سرى لا يبلغ الشفق ، لكنه خطير .. خطير

ولا يطرق الحجب .. فهو هين كالنقير

« فلم تفهم السيدة شيئاً من هذا الكلام المبهم ..

ووقفت تحديق فى الحاضرين ، وأخذت كتاباً من فوق أحد

الأرفف ودفعته إلى منصور .. ، ووقفت أمام الجميع قائلة «

منصور والسيدة المجهولة

السيدة المجهولة : كلامك هذا كفر عندى

مسطور هذا فى كتاب بين يدي

أنت !.

لست أعرف من أنت ؟

تقول « أنا الحق » من قمة وجدك  
إنى أراك طائرا خلق فى السماء بفعل الشوق  
لكن ريشه من الشوك

.....

كيف يكون الشرح والتأويل !  
لهذا الكلام المخيف الثقيل !  
الذى يسلم الرقاب للمنون .  
أى شرح له أى تأويل ؟  
منصور : « يقف قليلا ، وينظر إلى السيدة والحضور »  
لماذا ؟

هذا كلام قلته أمس وأقوله اليوم ..  
« ضوضاء وحركة بين الحضور .. وبوادر معارضة ومجادلة ثم ينهض  
أبو الوفا يرد كلام منصور عليه .. »

الشيخ أبو الوفا : أراد الطين أن يزهو بنفسه

أراد الطين أن يزهو بنفسه

هلا قلت يا منصور « أنا الباطل » !

السيدة المجهولة : بكلامك يا منصور قلبت الموازين

وتعديت حدود الشرع والدين

لقد عصيت وتوبتك لن تقبل

وحكم الشرع فيك أن تقتل . .

سيطير كلامك في البلاد

ويشير الفتنة بين العباد . .

« يبدو منصور في تمام التحكم في نفسه ، ويتسم مطمئنا ويقول «

منصور : لا تغضبى . فالقدر يعرف دوما مكانه

وفي السماء رب يدبر ويقدر أحكامه

وفوق الأحكام الديوان الأكبر

ضاقت على الآفاق ، والعالم منى أصغر . .

لا أعرف صاحباً لى لم يبصر الدنيا الشوهاء .

أبصرها بالعقل وحده . . والعقل هباء .

بلادى شاسعة بلا حدود

و « ماسوى » و « ما وراء » بلا قيود . .

« تتناول السيدة بيدها منضدة صغيرة ، وتلقى بها مغاضبة في ركن ،

وتنصرف حانقة . . وينهض « ترابى » فى إثرها . . بينما يصغى الشبلى

باهتمام شديد . . . ويواصل منصور كلامه «



منصور : أنا حاكم الملكوت والغيب

أقول « أنا الحق » ولا ريب

صوت الخلود من بعيد يدعوني

ومن الشفق نور يحدوني . ،

« يدخل الجنيد ويقعد بجانبه ، بينما تين علامات الغضب والانفعال

على وجه فصيحى . . ثم يقول محتداً معترضاً ؟ »

فصيحى : فسر ما غمض من كلامك

ولا تدفعنا إلى إنكارك

منصور : أقول دائماً أنا الحق

وكلامى لاريب حق

« يخرجون جميعاً مغاضيين آسفين ، ويغادرون البيت ، يصحب

أحدهم الآخر وأعينهم تدور فى رؤوسهم من الحيرة ، وتنطلق السيدة

المجهولة إلى غايتها .

## **المشهد الثانى**

### **فى قصر الوزير حامد ببغداد**

### **الوزير حامد - وابنه عفان - ومنصور**

« قصر فخم ، منعش الهواء . . . تأتى من خلف الستائر مهمة وحركة تنتهى فى الأروقة . . وأحياناً يفتح باب فى خوف ، يطل منه شخص ، ثم يختفى فى حذر وتحفز . . . ثم يدخل اثنان من الحرس بمنصور . . . وتخرج من عند حامد سيدة مجهولة فور دخول منصور عنده لتبدأ المحاكمة . . »

**« يقف الحارسان بالباب »**

**الوزير حامد : هل كنت تشير الفتنة بين الناس فى جامع عمر**  
**يا منصور ؟ !**

**منصور : كنت أقول لهم أنتم تعيشون فى عالم محقور . .**

**الوزير حامد : كنت تسعى فى الأرض فساداً يا زنديق ! .**  
**فمن ينجيك من العذاب والتحريق ! .**

**منصور : طغى الماء على السواحل والشواطىء . .**

**ودمر كل ما اعترضه من شىء .**

**مشغول أنا بالتكبير . . وتريقون دمي ! .**

وأنا الحق .. هي كل جرمي ! ..

« يأمر الوزير بإطلاق منصوري من شرفة القصر على القتلى والجرحى  
وأولى العاهات ... ثم يلتفت إليه .. » .

الوزير حامد : أتريد أن يخلص ملك بغداد لأوباشها ! ..

« يفكر الوزير برهة ثم يقول »

علمنا أن معك سيدة أغويتها

من هي ؟ حدثنا عما خفي من أمرها ! .

يقولون أصابها الجنون والجذب مثلك ، وإنها تقتدي بك ... ،  
وتقتفى أثرك .

فهامت على وجهها في الأرض بغير هدى ..

منصور : أعرفها .. لكنك قذفتها بغير علم ،

فاذهب إليها واركع أمامها على القدم .

وأضرم أنفاس روحك وقوداً لعشقتها .

لكن حذار ! فزيت قنديل العشق هو الدم ،

والقطرة من هذا الزيت ، رحمة السماء وطريقها المضمرة .

الشعاع والنار والدم .. أمور جرى بها المقدور ،



كلها أدركت الخلود .. فانبثق منها النور .

لأبد فى سبيل العشق أن تهان عزتك ،

وأخشى ألا تكون صادقاً فى نيتك ! ..

وتعبد طمعك الفانى فتهلك ،

وتتحرك غريزتك فتضللك .

الوزير حامد : أتبغى تهديدى بكلامك الفارغ ، وهذا الهوس ؟ !

إنى أعلم مع من هربت ليلة أمس ! .

غير أنى بعميق فكرى سأخبرك ..

ولاشك عندى أنك تسعى لإخلال النظام وفساد الأنام .

تقف فى المساجد والمدارس ، وتعقد المحافل والمجالس ،

تلقن الناس الأباطيل والوساوس .

وتخدعهم بالفاظك المشتبهات : الخالق .. المخلوقات .. الكائنات ،

المكونات .. من ؟ .. صنع من ؟ .. وأين ؟ والذرات والصفات .

والوحدة .. والكثرة .. وهل للنفس من جوهر ؟ ! ..

والحجاب الذى يغطى الوجود .. ما هو السر ؟

وتذيع فلسفتك هذه فى كل مكان ،

ولست تبغى إلا الثورة على السلطان .

فاختلف الناس واقتتلوا حول كلامك ،  
وغصت الطرقات والمساجد بالجرحى والقتلى ،  
وسيستفحل الداء ، وتعم البلوى . . . . .  
منصور : نعم . . أن أقول للناس عيشوا غير حياتكم ! . .  
اتركوا الحرص والتدبير . . أحسُّوا . . تذوقوا ! . .  
وكلامى يعنى الحركة والفكر والسعى . .  
الكسل عندى هو شبح المقابر فى الظلام الحالك ،  
هو وسوسة الفناء والسراب الهالك .  
الوجود كله يحترق كل لحظة . . ثم تتمد ناره  
ثم تعود للاشتعال . . ثم تتمد . . ثم تستعر ،  
العشق يجعل نور الروح يسطع  
ولسوف ترون فى أنوار التجلى « منصور » ! . .  
« فنهض الوزير واقفا كمن أصابه مس من كلام منصور . . ويغادر  
المكان صوب الجناح الآخر فى القصر ليدخل حجرة فخمة . . ويدير رأسه  
حيث توجد سيدة مجهولة تضع فوق وجهها قناعا من حرير أسود . . يقف  
أمامها ابنه « عفان » ساجى النظرات مطرقا ، كمن يعانى سكرات الموت . .  
ثم يشير الوزير بيده لمنصور أن ينصرف ، فيمضى فى البهو يحجل فى  
قيوده ، يتبعه الحارسان حتى حجرة أخرى يدخلانه فيها ثم يقفان على  
بابها . . وبعد مدة يأمر بإدخال السيدة المجهولة عليه . . فتدخل عليه  
ويغلق الباب دونهما . . بينما يقف الحارسان منصتين . »

## الوزير حامد والسيدة المجهولة

الوزير حامد : ياطالما سألنا الحسناء ، ذات الجبين الوضاء ، عن سر مقدمها إلى بغداد .. ومتى أقبلت ؟ ومن أين .. ؟ ومع من ؟ .. لكنها كانت تمسك عن الجواب ! ..

ومن حق هذا الحسن الفاتن علينا أن نستعطفه .. ، ونسترضيه في النوال .. رغم ما عرف عنا من إذلال العزة واستحلال الحرمة ! .. إن شئت جعلت فداء لك ولدى فلذة كبدى .. أو منصورا ! أو أى شيء .. رقى .. تكلمى .. أبذل لك عزتى وخزائنى ! ،

السيدة المجهولة : حبيبى هو الله الماجد ... ومالى حاجة فى وزير أو مال بائد ..

الوزير حامد : تعلمين أننى وزير للخليفة .. والخليفة إن شاء أفنى منصورا جسماً واسماً ... ولى فى هذا السلطان نصيب كبير ..

السيدة المجهولة : الخليفة لا يقدر إلا على جسم منصور فقط .. أنا أعرف منصورا ، يوم رأيته عند بعض أصحابه ..

الوزير حامد : تقصدين الشبلى صديقه .. الشبلى من أحبائنا .. السيدة المجهولة : لكن حبيبى هو الله ..

الوزير حامد : إذن فحبيبك ذلك العاجز المحتال الذى يقول « أنا الله » .

**السيدة المجهولة :** أنا حبيبى ومطلوبى هو الحق .. وإياك والجرأة  
عليه تعالى ! أما عن منصور .. فدونك جسمه ، افعل به ما تشاء ..  
فالجسم تراب وهباء .. أما روحه ، فبينكم وبينها مناط العيوق ! اقتلوه ..  
أحرقوه .. هو ذا بينكم حال مائل .. منصور هذا إن شاء أشار إلى قصرك  
فيطير فى الهواء .. وإن شاء أصبح أثرى الأثرياء .. كلمة منه تحيل  
المجنون عاقلا ، والعاقل مجنونا .. منصور يرى الأبرص والأعرج  
والعليل والضرير .. لأن الملائكة له ظهير ، إن شاء أخرج فاكهة الصيف  
فى الشتاء ، وفاكهة الشتاء فى الصيف دون عناء .. منصور يطلع على ما  
فى قلوب العباد ، وينبئهم على ما فيها من خير أو فساد .. يضرب يده  
فى صعيد الغبراء ، فيخرج دراهم القدرة مكتوبا عليها « الله .. حق »  
ولا وراء .. يُطوى له الزمان والمكان . وهو على مملكة العشق سلطان ..  
فحذار ! . حذار منه ! .

**الوزير حامد :** ماذا قال لك ولدى عفان ؟

**السيدة المجهولة :** كان يقرأ شعرا يكاد يبلغ الجمال والجلال ..

**الوزير حامد :** وماذا كان جوابك عليه ..

**السيدة المجهولة :** هو مثلك فى سوء النية

وهل تلد الحية إلا الحية ؟ ! ..

**الوزير حامد :** ويلك قد أضلك ذلك الساحر ،



وغرك بكلامه الفاجر ! .

حذار أن تمضى معه

ودعيه يلقي مصرعه ..

ولك كل ما عندي من خزائن وغلمان

وتصبحين ملكة بغداد ، ياخير الحسان

« يدخل اثنان من الخدم فى لهفة وعجلة ، ويخبران الوزير بأن الفتنة

قد عمت بغداد ، والخليفة يطلبه فى قصر السلطنة .. فينطلق الوزير

مسرعا .. وتقاد السيدة إلى حجرة مظلمة ، ويغلق دونها الباب .. عندئذ

ترفع وجهها نحو السماء ، وتناجى الله فى ضراعة وبكاء مكتوم .. » .

### مناجاة

طيور هجرت عشها وصغيرها

وحلقت فى أودية الرؤى القاحلة

كانت كل يوم تكسر أجنحتها ،

وتلقى فى الطرق المجهولة حتفها .

فكم أنت قريب يا إلهى .. كم أنت قريب ! .

وما أظلم روحى حين تهجرنى أو تغيب ..

حنانكم ! ، لا تقطعوا الوردة من غصنها ! ،

فياربى لا تجعلنى أعبد سواك ،

واجعلنى ذرة تخلق مع الصبا فى علاك ...

أناجيك فى ظلمتى بنار زفرتى ..  
فكن أنيسى يا إلهى فى وحدتى ..  
أنا فى الغربية مع الريح أطيّر  
وأضرب فى مفازاتٍ يضل فيها الخير  
تلك يدى بالدعاء أرفعها  
وفى مقلتى جمرات دمع لا أكفكفها ..  
طيور تنشد فى رحابك عشاها وألفها  
فهلا بلغتها يوماً مطلوبها !  
هذى الجبال والظلمات حجاب بينى وبينك ،  
فهل تغار منى لأنها أيضا تطلب وصلك ؟ ! ..  
فيارىبى لا تجعلنى أعبد سواك .  
واجعلنى ذرة تخلق مع الصبا فى علاك  
أناجيك فى ظلمتى بنار زفرتى ، ،  
فكن أنيسى يا إلهى فى وحدتى ..  
« ثم تنظر نحو الباب وعيناها فى سيل من الدمع »

## المشهد الثالث

### فى حديقة قصر الوزير حامد

### منصور - جلفدان وآخرون

« ظل الوزير فى شغل شاغل حتى الصباح بسبب الفتنة التى اندلعت  
نارها .. وقطع منصور يومه فى تفكير وتأمل عميق .. يذرع المكان الذى  
فيه ذهاباً وإياباً .. ثم يطأ موضعاً كثيف الأشجار تهب منه رائحة  
الريحان .. ثم يسند رأسه على جذع شجرة من أشجار حديقة القصر ،  
وتغورق عيناه بالدمع .. وتأخذه سنة من النوم ليرى فيها طيف جلفدان ،  
وهى تنشد شعراً فى السحر ... ثم تتحقق له رؤيتها واقعاً .. »

منصور : ما أكثر ما تتألم ..

تلك الوردة الضاحكة ! .

جلفدان !

دنيانا هذه رؤيا فى الكرى ..

فلماذا الصغائر والكبائر يا ترى ؟ ..

أمانى العباد قدر قد كتب

ولا يبلغونها إلا بالتعب والنصب

وهذا هو معنى القدر .. هو معنى القدر ..

«تدخل السيدة المجهولة فى خطى ثابتة ، نظرها حديد .. وهى تقول»

لكانى أرى قدوسا ولدى ، خرج يسأل عنى ..

يمشى وحيداً حزيناً دامعاً ينادى « أمى .. أمى ! »

.....  
.....

يسائل القفار والأنهار والأشجار عن أثرى

يصيح تعالى .. جلفدان .. أمى .. وارحمى صغرى ! .

يصرخ ملتاوعا فى جوف القفار المظلم ..

وليس إلا الصدى .. فمن يرق له أو يرحم ؟

يخيل إليه فى الظلمات أنه يرى طيفى

يفتح ذراعيه ويعدو نحوى ..

يحسب أنه قاب قوسين من عنقى وصدرى ،

فتعصف ريح السراب بزهرة أمله وتذرى ،

.....  
.....

إن اعتنق غصنان جرى بينهما النسيم ، حن إلى حضنى ،

وإن حمل إليه الصدى صغيراً ، خاله يردد اسمى ..

تنهمر أدمعه كأوراق الشجر فى الخريف ،



وكلت قدماه من السير والتزيف ..  
ليس إلا السراب والفراغ يا ولدى .. يا حر كبدي ..  
مرثية خليل : روحى حائرة فى المتاهات يا خليل ..  
أنا كقفر موحش وطائر بغير خليل .  
مكانى لا مكان .. وزمانى لا زمان  
وضراعتى لا تسمعها آذان ..  
أين الشمس فى القلوب المظلمة ؟  
هل أخفاها الظلام والشياطين المردة ؟ !  
دفنوها فى القبور الموحشات ..  
بيننا أظل أرقبها من فوق المنارات ! .  
كانت الشمس تملأ بيتى بنورها ودفئها ..  
فاقفر ، واتخذته العنكبوت بيتا لها .  
كنت فيه وردة تتراقص مع نسيم الصبا  
فذبلت وماتت ، وولى عهد الصبا

.....

تركتنى ورحلت إلى دار الخلود  
قل لى أين لحدك بين اللحد ! ..  
رحلت وارتمل ابنى .. ومن رحل لا يعود ! ..

رثائي لك مزق نياط قلبي ..  
وأحرقني ..  
وأنيى أرقني ..  
خيالك لا يفارقني ساعة من ليل أو نهار ،  
وصوتك فى أذنى كخبر مياہ الأنهار ..  
لو استطعت لأضرم النار فى القصر بنفسى ! .  
ليهلك من فيه ، والقى أيضا حتفى ..  
وتستقر شمس الظهيرة فى دار الخلود !  
ويحترق كيانى فى النار ذات الوقود ..  
وتتصاعد من قلبى ألسنة اللهب .  
سئمت شمس الظهيرة .. فأين شمس المغيب ؟ !  
ربى جد لى بطلعتك يوم الحشر المهب !  
منصور : أريدك أن تمشى على الصراط فى سلام  
ويتحفك بالخلود رب الأنام ..  
« ثم ينشد »  
كل ما على الأرض من جماد أو حيوان أو إنسان ،  
إلى هلاك .. واقربنى « كل من عليها فان »  
جعل الله تجلى كماله مع الحيرة

والتيه في بلاد مجهولة سنين عديدة ..  
ومن يصبر على ذلك .. ينال في العشق وساما  
وتكون نار جهنم عليه بردا وسلاما  
هنالك الخلود والأبد ..  
وهذا ما قاله الفرد الصمد ..  
« ثم يسند رأسه على يده ... ويبقى ساهما متأثرا بكلام جلفدان ،  
ثم يعيد كلامه الأخير عليها .. ويزيد »  
كأنى أحمل آلام العاملين جميعا .. وقدرى أن  
أظل هكذا حائرا ملتاعا .. فاللهم اجعل  
اسمى مسلاة تسرى عن المعذبين إلى يوم القيامة ..  
« وظلا في حديقة القصر .. مخفورين بالحراس حتى المساء .. بينا  
لا يغادر عفان بن الوزير حامد مقعده أمام جلفدان يتعبد جمالها الفتان » .

## ستار

## الفصل الثالث

### المشهد الأول

### فى بهو الاستقبال

« قصر الخليفة المقتدر الموجود فى أطراف بغداد .. يجلس الخليفة فوق فرش وثيرة .. تتدلى فوقه الثريات فى بهو يزهو بالآثاث والرياش ، ويجلس معه ، الوزير حامد ، ونصر الحاجب ، والقاضى أبو عمر ، والمفتى ، ونظار ، ومستشارون ، يحوط بهم الحرس والخدم .. يضمهم حديث سمر يطول حتى الفجر كما اعتادوا .. يدور سمرهم الليلة عن المعجزة الخارقة التى أظهرتها سيدة فى قرية بالبيضاء ، إذ خرجت من حجرة مغلقة يقف على بابها الحراس دون أن يراها أحد .. ثم يأمر الخليفة بإدخال منصور »

### « الخليفة ومنصور »

### يجلس الآخرون منصتين

الخليفة : علمنا يا هذا أنك تلقى الناس فى المساجد

وتلغو فى كلامك وتقول « أنا الله » الواحد

فأثرت الفتنة .. لا فى بغداد وحدها

بل عمت بلاد الإسلام واستعر أوارها

أجبنى .. أولى أنت ؟ أم نبى ؟ .. أم إله ؟ أم عبد ذليل

أم عاطل شريد طريد ضليل ؟



أعاشق أنت ؟ . أم مجنون ؟ . أما عارف من الواصلين ؟

أم أنت من العصاة الفاسدين الفاسقين ؟

أضربت النار فى الأخضر واليابس بهديانك ،

أملك كريم أنت ، بلغت سدرة المنتهى فى معراجك ؟

كلامك غامض مقلوب ، يحار فى فهمه أولو الألباب

فاجل لنا أمرك . . . هات فصل الخطاب ! .

كيف يحل الله فى بشر فان ؟

وكيف يعلو الخلد فوق الزمان والمكان ؟ !

منصور : أنا الحق . . دلهنى الحق . . حيرنى الحق

أنا من أحفاد زرادشت ، تعلمت عنه هذا السر الأكبر

وقريتى تشتهر بالورد والعنبر والمسك الأزفر

يستيقظون مع الفجر . . ويملاون صدورهم بشذى الورد

وينطلقون مع قافلة الربيع

ويتزينون باللآلى والمرجان

يسرون فى أيديهم

ورود حمراء الخدود

قريتى يشع النور فى روحها منذ الأزل

فيها الحسن والشذى والنور والأمل

أهلها ينحدرون من أصل واحد وسلالة واحدة

ملاحُ الوجوه ، يحلقون بأجنحة بيضاء كالملائكة

فلما ارتحلنا وحللنا دياركم  
أخفينا أنوارنا ، وأظهرنا الظلام لكم ! .  
الخليفة : ثم ما خطب المرأة المجهولة التى معك ؟  
سنحضرها ونسألها نفس سؤالك . .  
أصحيح أنك أطلقتها من سجنها ؟ !  
لكن اعلم أن القتل خاتمة أمرها . .  
امرأة مجنونة . . تحسب نفسها من العارفين . .  
أين تذهب من نجل والى تبريز الفطين  
مهما ارتقت فى السماء ، وغاصت فى الأراضين ؟ !  
منصور : البقاء من الفناء أقوى . . والعشق نور  
صحيح قد يصيب العاشق يوما الغرور . .  
لكن كل الناس عندى يعشقون  
بيد أنهم سرعان ما يضجرون . .  
الأرض التى فيها العشق لا تعرف الموت  
لأنها بعد فورة بركان اللهب تخلق فى الملكوت  
أنا عاشق لألف ظل وظل أراها . .  
وحيرتنى أسرار عنكم أخفيها . . .  
أنا أدركت النور واتحدت به فى قمة وجدى . .  
فهل أعود للطين المظلم بعد سمو قدرى ؟

دخلت عوالم شتى ووجدت الله فى روحى  
وامتزج النور بالنور .. فهل يدرك الموت مثلى ؟ !  
وامتزج النور بالنور .. فهل يدرك الموت مثلى ؟ !  
الخليفة : ما فهمت هذا التأويل . ، فما نوع هذا التبديل ..  
هل هذا من كلام ربك ؟ !  
منصور : حاشا لله أن أفترى عليه كذبا  
أنا مسلم .. أنا مؤمن .. وعبد فى الله هائم حائر  
دلهنى عشقه ، ودفعننى وجدى أن أخرج فى سبيله وأهاجر ..  
« يلتفت الخليفة نحو الوزير والنظار »  
الخليفة : ما رأى الشرع فى هذا ؟  
الوزير حامد : ملحد . . . . . مجرم  
« يقتاد الحرس منصورا للخارج وتستمر الجلسة منعقدة » .

## المشهد الثانى

« حركة فى القصر ، وأبواب تفتح وتغلق . . ينطلق الأمراء للخارج ويدخل الضباط والعلماء . . يقعد منصور فى حجرته المسجون بها فى القصر يحيط به الناس ، وأمامه نادل طاعن فى السن . . ثم ينهض ويقعد على طرف أريكة ثانيا إحدى ركبتيه تحته . . بينما جماعة الشيوخ يعكفون فى ديوان المشيخة على مطالعة صحائف ورقاع مجلدة بأغلفة خضراء . »

منصور : أنتم بعد أن يدرككم الموت . . تحيون حياة أخرى

تخلقون فى النور إلى الأبد ياخير الورى . .

« يصيح النادل « الله » رغم أنه يبدو مشغولا بموقده . . . . . فأحدثت

الكلمة وجدا وجذبا فى قلب منصور فأنشأ يقول « :

تركت فى سبيل الله وطنى وأهلى

أنا فى الصورة فناء . . لكن خلودى بين جوانحى

قلبى كوردة حمراء فى حالك الظلام

توهج من نور ذى الجلال والإكرام

كل ما عندى هو روحى فخذوها يا أحبتى . .

هى مرآة الوجود ، وخلود أسطورتى .

ألا تعلمون أنى عبد لذلك الرشا ؟ !

لو شاء يمشى على خدى مشى . .

ألقاني فى النار وأحرق لسانى

ثم أخرجنى وأعادنى فاشتعلت قناديلى ..

فخرجت لا أعرف الدنيا وما فيها ..

وهمت على وجهى فما لى بلد أرجيها ..

يا عبيد الطين والمال والنشب ..

هل بين أرواحكم والسماء حجب ؟

وهبتكم روحى وأنا غريب بينكم .

فافعلوا بى ما شئتم .. أنا لن أفارقكم ..

شهداء العشق لا يبالون بالدنيا ..

ولا يهابون الموت والردى ..

الاستشهاد فى العشق ، هو غاية المأمول

وذوقوا أنتم الموت يا أهل الفضول

أول ومضة من نوره تجذب القلب نحو السماء

ومطلوبى ومأمولى أن تتركبنى مع الأضواء ..

« فيصرخ النادل من فرط الوجد » الله .. الله « ، وينقلب على

ظهره يضرب الأرض برجليه .. ثم تصدر الأوامر بإخراج منصور من بين

الناس ، وحبسه فى حجرة أخرى ، لكنها امتلأت أيضا بالزوار .. وأقبلن

جوارى القصر على حجرة منصور وفى جماعتهن « شهر باز » جارية

الخليفة المقتدر الأثرية عنده .. فضايق ذلك الخليفة وأغاظه .. ووجم



الوزير حامد . . وخشى أن تكون جلفدان من بين الحضور عند منصور فيفتنها بكلامه الساحر ، وهو يريد أن يخطب ودها وينسيها كلام منصور هذا ، فتحرك الحقد والطمع في قلبه ، وأخذ يحتال ليجد فرصة يقنع فيها الخليفة بإصدار أمر بإعدام منصور . . ثم لاحت له الفرصة ، وكاد أن يخاطب الخليفة في هذا الأمر . . لولا أن نفسه اللوامة تحركت ، لأنه لا يعلم سوءا على منصور ، فسكت وراح يقلب فيما بين يديه من صحائف . . . ثم أرسل الخليفة في طلب رأى الشيوخ المجتمعين في ديوان المشيخة . . واستدعى من بين العلماء ابن عطاء وعبد الله بن خفيف لاستجوابهما . . . واستدعى منصورا .

الخليفة : لو قلت يا منصور « هو الحق » غفرنا لك . .

وأطلقنا سراحك وسامحناك . .

فأعرض عن هذا الوهم ، ولا تخالف عقيدة العوام . .

وسر في طريق الأمر بالمعروف والسلام

« ناظرا لمن حوله »

قد أفتى علماء الأمة ببطلان كلامك

ويستظرون أمرى بإعدامك

فعد إلى صوابك . . كى لا يراق دمك . .

منصور : كلا . . كلا . . لن أزدجر !

أقول « أنا الحق » ولاوزر !

وكلامى حق . .

كلامى حق ..

« ثم ينظر فى الناحية التى تغرب فيها الشمس ويزعق »

اقتلونى .. فالقتل مأمولى .. وفيه وصولى ..

« فينظرون إلى بعضهم البعض ، وينهضون وقوفا ، متجهين إلى قاعة

المدافلة ... وبعد قليل يخرج منصور إلى الديوان .. وبعد آذان

العشاء ، يحضر الجنود والضباط والحراس إلى ديوان المشيخة ، ثم يدخل

القضاء ، ويأمر الخليفة بإدخال منصور »

القاضى أبو عمر : « ينظر للقاعة ويصيح »

صمتا .....

ثم يتجه لمنصور ...

ما اسمك .. وعملك .. وسنك ؟ قدم لنا نفسك ...

منصور : اسمى الحسين بن منصور .. فى السابعة والعشرين من

عمرى ، وعملى .. هائم ، حائر ، متعلق بالنور من يوم مولدى ..

وأهدى الناس إلى الله فى قولى وعملى

وخلاصة القول .. أنا عاشق لخالقى .

القاضى : ما دينك ؟ وما مذهبك ؟ وما هى طريقتك ؟

من أبوك ؟ ومن أى البلاد ؟ وما خطبك ؟

أجبنا عن كل ما طلبنا إليك ؟

أنت متهم بالإلحاد فى كلامك ...

وأفتى قضاة الشرع بإعدامك .....

منصور : ولدت فى موضع يقال له البيضاء بتبريز .. جدى  
مجوسى .. صهرى يدعى « أبو يعقوب الأقطع » ، ولى ولد يدعى  
مغيث .. دينى الإسلام .. مذهبى السنة ، وأحب خلفاء رسول الله  
وأهل بيته ، ما تلقيت العلم فى مدرسة ، وإنما اكتسبته إلهاما من الله ..  
تلقيت أصول الطريقة على يد عمرو بن عثمان المكى والجنيد ، وكنت أول  
مريد فى تكية سعيد الخراسانى .. ولى مؤلفات فى الفقه والسنة يتداولها  
العلماء والطلاب .... قاله ... الله فى دمي ! وبأى سند تقتلون رجلا  
يعتقد اعتقادى ، الله .. الله فى دمي ! ..

ثم يخاطب نفسه : يارب .. أنا أفنيت ناسوتيتى فى لاهوتيتك .. !  
« ثم يتجه بالخطاب إلى القاضى »

فى الثامنة عشرة من عمرى لبست خرقة التصوف .. وخرجت  
للسياحة والتطواف .. طفت بالهند والصين والحجاز والبصرة كانوا  
يلقبوننى فى الهند « أبو المعين » وفى خراسان « حلاج الأسرار » ، وفى  
بغداد « المدله » .... ذقت العشق .. رأيت فى كل شىء .... فرحت  
أدعو الناس إلى عالم المعانى والأسرار .. ثم تصموننى الآن بالإلحاد ! ..  
« ثم يخاطب نفسه » : يارب ... أنا أفنيت ناسوتيتى فى  
لاهوتيتك ..

القاضى : يعنى .. أنت طفت بالبلاذ تدعو إلى الله ..

منصور : هذا أمر طبيعى معتاد ....

القاضى : وهل أدرك الناس رموزك ومعانيك ؟ أم لم يفهموا عنك ؟ !

منصور : من أراد أن يتجرد للحق .. فليتفرد مثله

حق .. حق .. أنا الحق

ومطلوبى أن أصل للحق ...

القاضى : هل لك أقوال أخرى ؟

منصور : كثيرة ... لا يفهمها إلا من اصطفى الله ..

« ثم يخاطب نفسه » : يارب .. أنا أفنيت ناسوتيتى فى لاهوتيتك ...

القاضى : كفاك لغوا فى الكلام

أنت يا منصور متهم ..

« ثم يقول للجنود »

خذوا هذا المجذوب

قد فرغنا من استجوابه

« ثم يفكر برهة .. ويقترب من منصور ، ويضع يده فوق

رأسه ... ويطرق ، ثم يأمر الجنود »

خذوه وأحضروه مرة أخرى

ونادوا شهوده .. !

« يدخل منصور فى حجرة مظلمة ... بينا يدخل الشهود من باب

آخر يبلغ عددهم أربعة وعشرين ، من بينهم الجنيد ، ومن كانوا معه

بالمسجد الجامع ... وعدد من النسوة والرجال ، يدفع القاضى بأوراق إلى

الجنود .. ثم ينصرفون إلى البهو .. »

## المشهد الثالث

« الليلة هي الليلة السابعة ، لخروج جلفدان هائمة على وجهها بين المقابر الجبلية ، حائرة حاسرة ، متزعجة الخاطر غارقة في الفكر والوهم ... »

بينما يجوس خليل وولده قدوس في أودية مقفرة جرداء الأشجار ... ويلتشم الشمل صدفة ، وما إن لاح لها زوجها وولدها حتى عدت نحوهما وعانقتهما عناقاً طويلاً ...

جلفدان : كيف اهتديتما إلى ... ولماذا ؟

خليل : من يوم فراقك ورحيلك عنا

ونحن في غرق من سيل أدمعنا ..

من يومها ونار الندامة تحرقني وتكويني

وذكراك في الليل تقتلني وتحينني ...

رحت أبحث عنك بين الجبال يا قديسة !

وندمت لإزعاجي حليتي المعصومة ..

قلت : ويلى ! كان شريك مضجعي ملاكاً رحيماً !

ولضلالى ظننته شيطانا رحيماً ..

رأيتك في منامى حورية بين الحور

تبتخرين في غلالة من نور ..

رأيتك هائمة في عشق العلى القدير



تتقلبن بين ربي بغداد والزهور  
أخبرنا درويش يوماً أنه رآك  
فطرنا بجناحين من الشوق للقياك . .  
وأخذت ولدى قدوساً وانطلقنا على عجل  
يحدونا نحوك الرجاء والأمل . . .  
قطعنا قفاراً في جمر اللهب  
وأرمدتنا الريح الهبوب . .  
جلفدان : رأيت نفس رؤياك . . . ونفس الريح أرمدتني  
فهذا حظ المسافر الوحيد من العذاب والضنى . .  
رأيت أشباحاً وأقواماً . . .  
وكم سمعت همساً وكلاماً ! ،  
وكم قاسيت أهوالاً يشيب لها الولدان ! . .  
كنت أرى السماء كسقف السجن قريبة مني !  
أنادى ويجيبني الصدى . . وأحجب شمس الظهيرة بكفى . . .  
كنت أناطب الملائكة ، والشياطين  
ويأمرونني . . . . . إمضِ . . فمضيت  
حتى نزلت وادياً مظلماً  
جلست تحت شجرة صفراء عتيقة في أسفلها فجوة  
وبلغت قصراً عتيقاً تسكنه الشياطين المردة

ومضت ليلتى الأولى هكذا  
ثم ما أغرب ما دار وجرى ،  
فى القصر شياطين تتراقص وتتزوج  
وملائكة فى الظلام تلعب بسعف النخيل ، وتمضى فى أفواج ،  
وأسمع أصواتا تنبعث من الحفر والمغارات  
وأرى حواة طوال الوجوه غريبى الملامح والنظرات  
ثم طاروا وطرت معهم فى كل مكان  
حتى بلغنا سور الصين . . .  
وهناك قام المشعوذون والساحرات والحواة  
وغسلوا بالدم أيديهم والجباه  
ودخلت مغارة موحشة يقبع فيها الموت الزؤام  
فى مدخلها شمعة تنير فى الظلام  
فأريت بها رجلا كبير العمامة يرسل لحيته  
يرتدى خرقه سوداء شائكة  
ويتربع فوق تخت فى المقدمة  
تحوطه أربعة أحبال مفتولة محكمة  
فأدركت أنه ملكهم ، وتلك ليلة عرسه . . .  
لذلك تحمل الجنيات الشمع بين يديه وخلفه  
ثم انطفأت الشموع ولف المغارة الظلام  
وانقلبت الجنيات إلى دجاج وعترات وبقرات سمان

وتحول كل حبل إلى حية رقطاء  
وتحولت الجبال إلى مكعبات صغيرة يلعبون بها النرد  
وإذا بى أرى بيوتا خربة ، وعتبات ، وأعمدة تتراقص فى نظام  
وأخذت الجنيات تتراقصن وفى أيديهن عظام  
« ينصرف المشعوذون والساحرات والجنيات والشياطين والملائكة »  
وقبل أن يلوح الصباح  
اختفى كل شىء يا صاح  
وفى الليلة الثالثة خرج معى أربعون ألفا من البغال آذانهم طويلة ،  
وفى أيديهم سواطير ، وذهبنا إلى ديار الغيلان وهناك رأيت الشياطين تدق  
صدورها بالأحجار والصخور  
« ينطلق صياح ديك . . . فيمتقع لون جلفدان »  
ثم انقضت ليلتى السابعة  
وعدت إلى سيرتى السابقة  
« ثم تنهض جلفدان فجأة . . وإذا بجواسيس القصر أدركوها  
فيقبضون عليها . . يتوجس خليل وقدوس ولده . . ويأخذونهم جميعا  
ويدخلونهم السجن مع منصور . »  
منصور : أنا يا خليل لى زوج كزوجك  
وولد صغير من الحسرة هلك . .  
حل العشق بروحى ابتلاء من السماء  
فذوت زهرة قلبى وطواها العفاء . . . . .

كنت أهرب منه ، وفى هروبي يزيد شوقى وحنينى

فيعصف العشق بقلبى ويضننى !

والله يا خليل عشقى ما له مثل !

وأدعو من كل قلبى للمهجورين فى الليل ..

آه يا خليل لو ذقت كما ذُقنا ! ...

وشربت من فرات الخلد كما شربنا ...

فيارب العرش لا تحرم الغافلين من هدايتك .. !

ولا تهجرهم وتعذبهم ... يارب بعزتك ..

الغرباء يا خليل يالفون الغرباء

ومن الحيرة الواجفة تتولد الحقيقة فى جلاء

« ثم صاحت الديكة ، وظهرت خيوط الشفق ، وارتحلت ملائكة

السحر ... فيضع منصور يده اليمنى على وجه خليل وولده قدوس ،

ويمر بها على وجهيهما ... فيرتفع عن أعينهما حجاب السر ويشعران

وكأن روح الخلد تهبط عليهما من بين أوراق صغيرة رقيقة ، وتهب عليهما

أنسام الجنة العطرة فتعشهما ... لكأنهما يسمعان موسيقى السماء الخالدة

من وراء الحجب . يشعر الجميع وكأنهم فى مجلس قريب من عرش

الرحمن ، ترفرف حولهم الملائكة بأجنحتها ... ثم تملك منصورا نشوة

الطرب ، وجذبة العشق فينطلق لسانه بكلام غامض مبهم ... »

منصور : يا حبيبى ! أنت عشقى وحبى الأكبر .. يا من تعرفون

حبيبى ! .. يا من تعرفون الله ! .. أنا خادمكم ولاضير ! يا ملائكة

السماء ، وياغرباء الأرض ، ويا أولياء حبيبي الأكبر . . . أنا خادموكم  
ولاضير ! . .

يا مقربين . . يا محيرين . . يا معذيين . . ارفعوا الأستار . . أنا قادم  
إليكم ! . .

« ثم يصمت مدة ويرفع رأسه في حيرة وينشد »

هؤلاء جميعا يعرفون الأسرار

الملائكة نور والجن نار

والخلق والكون نور

وكل شيء له بالنور الظهور

الدنيا ورثة حسننها يضل

والملائكة جزء والإنسان كل

الكمال أيضا في الصورة

وفي الصورة تكون السيرة

« فيصرخون جميعا من الوجد . . . ثم يختفون » .

**ستار**



## الفصل الرابع

### المشهد الثانى

#### مجلس الشورى المنعقد فى القصر

« يتشكل المجلس من الخليفة ، وحامد بن العباس ، والوزراء ، ونصر الحاجب ، وجماعة من العلماء والشيوخ ، منهم أبو عثمان ، وعمر بن عثمان المكي ، والجنيد والشبلى ، وعبد الله بن خفيف ، وأبو القاسم التستري ، وأبو سعيد الخزاز ، وأبو الخير النساج ، وأبو يوسف الحمداني ، وأبو الوفاء ، وابن عطاء ، وآخرون يجلسون جميعا صامتين ، بينما يقلب القاضي أبو عمر فى دفاتر بين يديه ، ويبدو كبير الكتبة وقد انتهى من قراءة بعض الأحكام » .

**الوزير حامد : يقضى الشرع بإعدامه وصلبه ورجمه . !**

**الخليفة : إني رأيت أمس رؤيا مزعجة ، رأيت وكأن وباء يعم المسلمين ، وكأني واقف بين يدي الله يوم القيامة يحاسبني على تقصيري فى قمعه !! .. ومجلسنا يضم صفوة وجوه الأمة من وزراء وعلماء ومشايخ ، لينظروا هذه القضية من وجهة نظر الشرع ، دون الخضوع ، لأية مؤثرات ، لأنها حدود الدين ، وحقوق العباد علينا ، فلا بد أن تؤدي على وجهها الاكمل ، فلا يعلو إلا صوت الحق والعدل ..**

الوزير حامد : جمعنا أربعة وعشرين من الشهود لسماع شهادتهم  
تحرياً للعدل . . فإن اتفقت شهادتهم ، لابد من وضع الحق فى نصابه . .

الخليفة : ثم نحن لسنا الحكم فى هذه القضية ، فالكلمة الأولى  
لقضاة الشرع وشهادة الشهود ! . .

الوزير حامد : وكلهم من العوام ، ومنهم أهل الطريق . .

ابن عطاء : لكن أغلب الشهود من النساء ولا يتم بهن نصاب العدل

رشيد الدين البلخى : إنا نريد أن نستجوبه ،

ونسلم ثانياً كلامه . .

ويجادلنا ونجادله ،

ونبلو حقيقة إيمانه !

« فى تلك الأثناء يدخل رسول القصر ، وينبئ الخليفة أن السيدة  
المجهولة هربت من السجن . . وبعد قليل يدخل رسول آخر ، ويخبر  
الخليفة أن منصوراً غير موجود فى الحجرة التى يقيم فيها فى دار  
المشيخة . . . فيمتقع لون الخليفة ، ويظل واجماً لا يبين . . فانتهاز الوزير  
حامد فرصته لإقناع الخليفة بنية السيئة » .

الوزير حامد : لابد من سرعة قتله حفاظاً على حرمة الدين ،

والشرع يا مولاي . . .

نصر الحاجب : لكى نقيم ميزان الحق والعدل والشرع ، لابد أن نفهم كلامه بمعناه الحقيقى ، ولربما استصوبنا عقيدته ! .. كما لابد من تحرى الدقة فى أحكامنا ، وإلا حملنا دمه فى رقابنا ! ..

الخليفة : هذا صحيح .. ،

أحد الوزراء : ولابد من فتوى شيخ الإسلام ..

الخليفة : وهذا أيضا صحيح ..

وزير آخر : كلا .. ليس صحيحاً يا مولاي ! لأنه سبق استجوابه ، وقد حكم هو على نفسه بالكفر ، ودعانا إلى قتله .. وهذا يكفى ! ..

الخليفة : لكن هذا لا يعفينا من الاستنارة برأى العلماء ..

أبو عثمان : يامولاي : هذا ساحر ، مشعوذ ، يخالل الجن والشياطين ، ويعرف التنجيم والطلاسم ... ويكتب كتابة غريبة بمداد أسود وأحمر ، ويخرج رقاعا يكتب عليها طلاسم ويعطيها للسيدات من العوام ، ويشكلها لهن فى أشكال مختلفة .. ثم هو أيضا يغير صورته .. فأنت تراه هنا فى صورة ، ثم تراه فى مكان آخر فى صورة أخرى ، ويرتاد الأماكن الخربة الموحشة ، وتصدر عنه غرائب وعجائب .. يتحلق الناس حوله فيأخذ فى التسييح والتمتمة ، ثم يقبض يده فى الهواء ويفتحها فإذا فيها دراهم قد كتب عليها « أنا الله » فتقع الفتنة بين الناس .. وهذا خطب جليل يا مولاي ! ..

عياض البخارى : ليته يقول « أنا الله » ولكنه يقول « أنا الحق »  
وما أعظم الفرق بين القولين ! ..

الوزير حامد : إذن ، لابد من استصدار فتوى بقتله من شيخ  
الإسلام ..

وزير آخر : لكن هناك من يؤمن بهذه الكلمة ويقبلها قبولاً حسناً ..  
الخليفة : أصبت فى كلامك ! ..  
« يدخل شيخ الإسلام »

عبد الله بن خفيف : منصور عالم ربانى ، أسكرته أنفاس السحر ،  
وهو عالم بالأسرار ، ذاق حلاوة العشق .. هو فوق الزمان والمكان ، لا  
يدرك الفناء مثله ، روحه حائرة بالوجد تحرقها تجليات الحق ... هو  
حبيب الله ، والله مطلوبه ومرغوبه ! .. يسكره جمال الكمال ، ويغيبه  
كمال الجمال ، فيخلع العذار وينطلق لسانه بكلام يأتيه من خزائن الغيب ،  
ويكفى ما يصدر عنه من كرامات ! ..

الجنيد : نحن لا نقف على حقيقة باطنه .. أما ظاهره فهو  
كفر ! ..

أبو الوفا : غير أن له أتباعاً ومريدين من الفقراء والمساكين وذوى  
العاهات والمجاذيب .. وهو هاديهم وشافيتهم وقاضى حوائجهم .. يروونه  
ويسمعون كلامه فتشرح صدورهم وتنفرج كروبهم .. بلغ « الكل » ومن

« الكل » دخل إلى « الجزء » فرأى أشياء لا تدرك بالعين ، وصار لا يبالى بالموت .. هو رجل كشف الله له عن شيء من أسرارهِ ، فصار يحدث الناس عما فى قلوبهم ... هو مدله فى مقام الحيرة ، وهو مقام ليس لنا بلوغه إلا إذا سكرنا بخمره .. ماذا تنتظرون من رجل اصطفاه الله بنوره وكشف له عن جماله ؟ ! أكثر عليه أن يصبح عبداً ربانياً يقول للشئ « كن فيكون » هو يرى الواحد فى الكثرة ، والكثرة فى الواحد .. أو بمعنى آخر : يرى الله فى كل شئ يراه ! . ففنى فى جمال الله .. فمن تقتلون ؟ ! دونكم جسمه فاقتلوه ، إن كان يجدى ! ..

« ينظر القاضى أبو عمر إلى الوزير حامد فيراه فى غم وهم ، وتمتلك الحاضرين حيرة كبرى » .

أبو سعيد الخراز : وأنا أيضاً ، أرى أن الحكم على رجل مثل هذا من أصعب الأمور .. لكن كيف يكون كافراً وزوجه التى تعاشره تشهد له بحسن السيرة وكمال الإسلام ؟ !

أبو القاسم التستري : وهل تجتمع الأمة على باطل ، فيحكمون على مؤمن بالكفر ، وعلى كافر بالإيمان ؟ ! ..

أبو يوسف الحمداى : نحن ما رأينا عليه سوءاً .. رأيناه يقضى حاجة المحتاج ، ويفرج كربة المكروب ، ويرىء الأكمه ، والأبرص ، ويسارع فى الخيرات .. هذا ما رأينا ..



أبو على الفرماوى : أجل ، وما يفعله مشروع منذ الأزل ، فالوجود مرآة يتجلى فيها الله ، فهو موجود فى كل شيء . هل نرى فى الموجودات إلا ومضة من نوره أو أثراً من آثاره ؟ ! سبحانه لا موجود إلا هو ! .. فرق فى قلوب عباده أقباساً من نوره ، كل حسب درجته .. واعلموا أن أصل كل شيء هو النور ، ثم تعود الأشياء إلى النور ، أما المادة فهى عبارة عن الخواص ، ندرك بها ما حولنا ، ثم هى إلى عدم .. ولهذا قال منصور :

( يارب .. لقد أفنيت ناسوتيتى فى لاهوتيتك )

لأنه شاهد أنوار الجمال والكمال ، وبلغ المقصد الأسنى ، وتوحد بالله ، فصار يسمع كل شيء يلهمه « حق .. حق » فصاح فى نشوته « أنا الحق » ؟ ..

الخليفة : ولماذا تسمونه « الحلاج » ؟

الوزير حامد : من سحره يامولاي

أبو الخير النساج : كلا ! . أنا رأيت من كراماته وخوارقه أموراً كثيرة ، لست أرى ما يدعو إلى ذكرها الآن .. لكنى سأروى لكم خارقة سماه الناس بسببها « الحلاج » ، كنت يوماً مشغولاً فى حانوت لى حلبج القطن ، فإذا به يدخل على ويقول لى : يانساج هلا قضيت لى حاجة ! .. فقلت : أنا مشغول بقطنى .. فقال : اذهب وسأعمل مكانك .. فخرجت وقضيت له حاجته فى مدة قصيرة ، فلما رجعت وجدت كل ما فى الحانوت من قطن قد حلب ، فشهدت له .. ودخلت عليه مرة بعد

منتصف الليل ، فقال لى : تشه الآن ما تريد آتيك به ، ثم أشار إلى سجادة فرفعتها فإذا تحتها دراهم كثيرة ! ..

الخليفة : ثم ماذا ؟

الوزير حامد : أجل يامولاى ! إنه ساحر يمارس الشعوذة والنيرنج .. ويتصل بالجان والمردة ، ويفتن الناس بخرافاته ..

الشبللى : ما يصدر عن منصور من كرامات ليس سحراً أو شعوذة .. إنما هو أمر مألوف ممن انقطعوا إلى الله ، فيتجلى لهم بخارقة ليزدادوا عشقاً وهوساً .

الوزير حامد : مهما كان فى الأمر ، فلما سنقتله عملاً بفتوى شيخ الإسلام ، وكفى من اقتلوا بسببه وماتوا .. لا بد من القصاص منه ..

نصر الحاجب : العجلة من الشيطان أيها الوزير ! ، ولا بد من التروى فى الحكم ... فلنعقد غدا الديوان ، ونستفتى قضاة الشرع ، وليمثل منصور أمام القضاة ، ويعاد استجوابه ويقلب كلامه على شتى الوجوه ، ثم نسمع شهادة الشهود ، وبعد ذلك نصدر أحكامنا ..

الوزير حامد : لقد ثار الناس من أجله فى الطرقات والحانات ، والدولة الآن مهددة بالفتنة .. ليس للناس فى الأسواق والمساجد إلا منصوراً ! .. لقد أثر فى الناس أكثر من نبي مرسل ! .. وهو الآن مقبوض عليه ، والشرطة تنتظر أمر مجلسنا فيه ، ولو انتظرنا لغد ستعم الفتنة ويصبح الأمر وبالا ! ..

« يلف المكان صمت عميق ، ثم يصدر الخليفة الأمر بمشول منصور  
أمام المجلس .. فيجلس حامد مقطباً جيئه ، ويجانبه كبير الكتاب ، ثم  
ينظر إلى شيخ الإسلام ... يبدأ الخليفة المحاكمة » .

الخليفة : يا هذا الدرويش المجذوب ! .

لماذا تصر على كلامك المقلوب ..

لو قلت « هو الحق » بدلا من « أنا الحق »

نجيناك ! .

منصور : كيف ستحكمون على مثلى ؟ !

كيف ستقضون فى أمرى ؟ !

الحق حق ، والدنيا متاع زائل ..

أتريدون أن أقول « أنا الباطل » ؟ !

أنتم لا تدركون عشقى لربى

وتلك نفحة أخذتها عن جدى ! .

الخليفة : أعرض يا منصور عن « أنا الحق » وقل : « هو الحق »

ننجيك من الهلاك ...

منصور : نحن فى الأصل نور ، ويقلب كل منها نقطة سوداء

ثم انحسر النور بداخلنا وأخذ الظلام فى النماء

وبداخلنا قتال مستمر بينهما

ونحن صرعى خصامهما ! .

غير أننا نعيش لا نبالي بالصراع ..  
ونتعمى ونقنع بالسراب والخداع  
دخلنا حديقة النور فما قطفنا زهرة ! .  
وتنقلنا فى سوق الطمع ، وما صرخنا صرخة ! .  
أنوار الإيمان ترشدنا وتهدينا ..  
تخيرنا وتضرم النار فينا ..  
أنا طفت بالكعبة ومعابد الأصنام ..  
وتخلصت من « ماسوى » و « ما وراء » يا أنام ! .  
أنتم مخدوعون بمتاع الدنيا والمال والنضار  
ودنياكم إن هى إلا دار بوار ..  
وما أكثر عباد الطمع والغفلة .  
وأقل أهل الذكاء والفطنة ...  
رأيت نفسى يوما فى غرق من سيل أدمعى  
وسكرت وسمعت كل شىء يقول « أنا الحق » معى  
فكيف تقبلونها من الجماد يا رجال ، ..  
ولا تقبلونها من أسير الجمال والجلال ..  
الوزير حامد : « ناظرًا للحاضرين »  
أرأيتم كيف يصر على باطله ، ويبغى فساد الدنيا والدين ؟ ! وفى  
فتوى القاضى أبى عمر ما يؤكد إفكه فى أقواله وفيما كتب فى مصنفاته ..

يكفى شاهداً على ادعائه الألوهية قوله « أنا الحق » وإن اعتبرتموها شطحة  
جذب ، ففى كتبه أباطيل كثيرة ، وفى ديوانه المخطوط ما يثبتها عليه ..  
ولنقرأ له ! ..

سأبنى لى عرشا فى عالم النور  
لا يعرف الموت ولا الليل والنهار ! .  
سئمت الجهل والحماقة والغباء ..  
وطمعا كطمع الكلب فى الشواء ! .  
سئمت بلادة الفهم وسوء الخلق ...  
سئمت السخف والزيف والملق ! .  
نحن صرعى الذل والغرور ..  
ولى مثل ما لكم من الشرور ! .  
« يصمت منصور وكل الحضور ، ثم يضع حامد الديوان بجانبه ،  
ويتناول بيده كتاباً آخر من كتب منصور يقرأ منه »  
( أنا لا أتعصب لمذهب من مذاهب الفقهاء )

« ثم يقلب صفحات الكتاب ويقرأ من إحداها :  
( الطبيعة هى التى تنبت البذرة ، وهى التى تخلق الحياة والحركة ،  
وهى التى تصور الأجسام ، ويبدأ المبدأ والمنتهى ، والقدر والجنة  
والنار .. ولها قدرة الألوهية .. ومن ثم فأنا بملكات روحى أسيطر على  
كل شىء .. »

الكل يأتى من الجزء ، فصرت أنا الجزء والكل وعنى يصدران معاً ،  
أنا السر الأكبر ، ولى علم بخفايا اللطف والقدر . . ولهذا أقول  
لكم « أنا الحق » )

« يخيم صمت مطبق على المجلس »

شيخ الإسلام « لمنصور » : هل لديك ما تدفع به عن نفسك ؟ !  
منصور : نحن لو آمننا بأن كل شيء يأتى من عند الله ، لرأينا كل  
شيء حسناً جميلاً . . ورضينا بدنيانا ! .

شيخ الإسلام « محتداً » : كفرت يا منصور ! . . .  
منصور : هذا عندى هو النور ! . .

## المشهد الثانى

« يدخل منصور السجن ، وتقاد السيدة إلى منزل الإمام ليعاد النظر  
فى أمرها من جديد »

السجن : « زوار يزورون منصوراً فى السجن ، من بينهم ابن عطاء ،  
وعبد الله بن خفيف »

« بعد أن اقتاد الحراس السيدة إلى منزل الإمام أحاطوا جميعاً بالسجن  
الذى يقيم فيه منصور ، خشية أن يقوم الزوار بثورة أو يحدثوا فتنة . .  
وقفوا يسمعون كل ما يدور ، وفى أيديهم أسلحتهم » .



« كان السجن فى آخر « سوق البزاز » أبوابه الخارجية من الحديد الأسود ، والأبواب الداخلية من الخشب المحاط بسياج حديدى غليظ ، يحيط بالسجن سور شاهق البنيان . . تبدو حجرات السجن ضيقة ، غائرة فى الأرض ، نوافذها من خشب الأرابسك . »

« السجن عبارة عن جناحين متقابلين ، يفصل بينهما فناء ، تتوسطه عين ماء . . حجرات السجن من الداخل لا تتسع إلا لسجين واحد ، تفوح منها روائح خبيثة ، وقد يتسرب من نافذتها ضوء خافت لشمعة هزيلة . . فلما أدخل منصور حجراته اتسعت وازدانت جدرانها ، وملأتها رائحة البخور ، وهب فيها نسيم عطر ، حتى بدت كروضة غناء . . فتحلق الناس حول منصور فى سجنه كل يوم ، ليسمعوا شعره وموعظته . »

« تنطلق آهات حزن وأنات عذاب وحشرجة ، من حجرة مقابلة لحجرة منصور ، بينا تأتى من حجرة مجاورة لحجراته نغمات عزف على الرباب ، وصوت شجى يغنى فى حزن ووله . . . فيمسك منصور عن إنشاده وينصت إلى الصوت الشجى . . ويطرب ويتحب ، نغم الرباب يعلو ويخفت ، ولا يزال الصوت يرسل غناؤه القريب من الأنين . . . ينهض منصور ويمضى فى هدوء نحو الصوت . . فىرى شاباً أسمر اللون طويل القامة ، فيسأله .

منصور : ما اسمك ؟

الشاب : مقصود الموصلى . .

منصور : ما جرمك يا مقصود ؟  
مقصود : قضاء الله يا سيدى ...  
منصور : من سيكون الحظ والقضاء ..  
أشواك فى حديقة خضراء ..  
ومن يحلقون بغير جناح ..  
يصطلون نار العشق ولا جناح ! .  
قدر الله الأمور ودبر ،  
فى الأراضين والأبحر ..  
ونحن لا نعلم ما سطر فى اللوح لنا  
لذا ، ننوح على رباب أعمارنا ..  
السجن والحراس ، خيالات ،  
والبراعم والرياض والطيور ، نغمات ..  
كلها سكرى من الرؤى ..  
والنور فى حناياها سرى ...  
السجن الحق يا صاحبى هو جسمك ..  
يجذبك للطين ويمسك ! .  
فمن أفناه وأحيا روحه ..  
طاف بقصر البللور فى جذبه ! .

فهي بنا هيا ننسخ الصورة !

ونرشف البحر مع الحمائم قطرة قطرة ! .

إن وهبت نفسك فى سبيل الروح ،

فى الدنيا والآخرة لن تنوح ! ..

« ثم ينظر منصور فى اتجاه آخر ، وكأنه يتأمل الشفق الذى تحجبه جدران السجن ، ويحس وكأن روحه تخلق فى عوالم مجهولة ، وكأن نسيم الشوق اختطفها وراح يحلق بها فى مملكة الحيرة والوجد .. هو عالم تغشاه ظلمات كثيرة ، لكنه خالد للأبد ! .. ثم يأتى بعض زوار منصور ، بينا لا يزال الحراس يحيطون بحجرتة .. وفى كل مساء وصباح يمضى مخبر إلى الوزير حامد فيخبره بكل ما يدور .. » .

« فى اليوم التالى يأتى ابن عطاء وعبد الله بن خفيف لزيارة منصور فى السجن بأمر من الخليفة » .

عبد الله بن خفيف : يا منصور ! جئناك متوسلين راجين ... ارجع عن قولتك .. يرحمك الله ! .

منصور : كيف أبدل كلامى يا ابن خفيف ؟ !

وأخشى الناس ولا أخشى اللطيف ! .

« ينظر ابن خفيف وابن عطاء إلى بعضهما البعض فى ندامة وحسرة ..

وينخرطان فى بكاء مرير ويصيحان «هلك الشيخ .. هلك !» وينصرفان ..

وانقطعا عن زيارته مدة من الزمن ، بعد أن أطلعا الوزير على ما كان ..

دخل منصور السجن فى يوم الثلاثاء ، وفى يوم الثلاثاء الذى تلاه كبل بالأغلال والسلاسل وأمر بأن يخرج على الناس القادمين لزيارته وهو يحجل فى أغلاله .. فلما رآه الناس فاضت أعينهم من الدمع حسرة على حاله .. ثم أعيد إلى سجنه .. وفى هجعة الليل ، انطلق رباب جاره السجن فى أنين مرير ، فتواجد منصور ، وأخذته نشوة الطرب ، فرفع صوته يناجى الله مناجاة ضارعة شاكية باكية .

**مناجاة فى السجن : يارب ! .. دعائى تردده السماء والأشجار**

ولوعتى يقاسيها معى النجم السيار ! .

يارب ! .. رأيت سحر الدنيا فى الربيع فجنتت ..

وجرى بحر الحسن أمامى فارتويت ...

يارب ! . أنا ريشة تدفعها الريح فى مهبها ،

وقلبى يرفرف فى سماء ما أرحبها ! .

أهتى تسمعها قوافل الهجرة ..

وهى لهلكى العشق الأزلى نغمة ...

أنهار الجنة تترقرق فى الرياض رويداً رويداً ..

وأصوات الخلد بأرواحنا تسرى ..

فيارب اجعل لى مكانا بين ملائكتك ! .

وارفع دعوتى إلى عتبة عرشك ..

ربى وخالقى وإلهى ! أحبك والحب قاتل ! .

أطير إليك بجناح شوق وردى كلون ورد الخمائل ! .

يارب ! . ضقت بحبسى فى مكان مظلم ..

فاستجب يارب لشكايتى وارحم !

يارب ! دعائى تردده السماء والأشجار ،

ولوعتى يقاسيها معى النجم السيار

يارب ! رأيت سحر الحياة فى الربيع فجتنت ..

وجرى بحر الحسن أمامى فارتويت .

روحى كفراشة المصباح أراها ! .

لا تقوى على دخول الحديقة خشية حارسها ! .

فيا سامى لهجرانى !! ..

هدم البعد أركانى ! ..

« وبينما كان منصور يرسل زفرته تلك إلى عرش الرحمن ، تراحم الزوار لسماع تلك المناجاة الضارعة .. فيفرقهم كبير السجانين وأعووانه .. بينا يصيح منصور « حق .. حق .. أنا الحق » وفى الصباح كان كل ما دار عند الخليفة .. فاستدعى الخليفة القاضى أبا عمر مرة أخرى ، وأخرج منصوراً ثانية للمحاكمة » .

الخليفة « للقاضى » : طبعى أنك علمت بما جرى .. منصور هذا يلف حبل المشنقة حول عنقه ! .. لقد أغوى المسجونين فى السجن ، فعشقوا كلامه .. كما أغوى بعض زوار السجن من وجوه الأمة ...

يزدحم الناس فى قاعته وما أن يراهم تحلقوا حوله حتى يهذى ويلغو ،  
ويأتى أمامهم بخوارق ومعجزات تبهرهم ، فيخرجون من عنده يذيعونها  
فى الناس ! .. فلا بد أيها القاضى أن تحكم بإعدامه ! .. وتضع حداً  
لهذه المهزلة ، لتستريح من شره الأمة ! ..

القاضى : هذا ما يريده الوزير حامد يا مولاي .. غير أن ما يعوزنا  
الآن هو الحجج والبراهين التى تبيح سفك دمه ..

الخليفة : إن أعوزنا الدليل ، فيكفينا اعترافه ..

القاضى : ليس فى اعترافه ما يبيح سفك دمه . لأن كثيراً من أولى  
الرأى والعلماء يقولون بصحة اعتقاده ..

الخليفة : فليمثل منصور فى حضرتنا مرة أخرى ..

« يقتاد الحراس منصوراً وهو يحجل فى قيوده وأغلاله ، ويتراقص  
طرباً بين الناس الذين اجتمعوا فى ساحة القصر ويصيح : « أنا الحق .. أنا  
الحق » « لم تحن ساعتى بعد يا قوم ! » .

الخليفة « لمنصور » : هل تدعى الألوهية ، وتنكر الكتاب والسنة يا  
منصور ؟

منصور : الإسلام عقيدتى ، والسنة مذهبى ، كم ذا أجل رسول الله  
وصحابته وأهل بيته ! ..

الخليفة : وتقول « أنا الحق » ! .

منصور : أجل ، أنا الحق ..

« يخرج منصور »

الخليفة للقاضي : ألسـت ترى أن كلامه يخالف الشرع والدين ؟ !

القاضي : لكن العلماء يؤولون كلامه يامولاي ..

الخليفة : هل يتفق هذا مع أحكام الشرع ؟ وهل فى ذلك اجتهاد ؟ !

إذن فاستجوبه أنت يا إمام .

« يدخل منصور مرة أخرى »

القاضي « لمنصور » : يا منصور ! هل أنت مؤمن حقاً بصحة

قولك « أنا الحق » ؟

هلا رجعت يا رجل إلى الكتاب والسنة والإجماع والاجتهاد وأصول

الطريقة .. فربما تعدل عن قولك ! .

منصور : لقد سبق لى أن أجبت عن هذه الأسئلة ، هذا دينى

واعتقادى يا سيد ! ..

القاضي : عن يقين يا منصور ؟ !

منصور : عن يقين يا سيد ..

« يعاد منصور إلى السجن مرة أخرى »

القاضي « للخليفة » : ما فتح الله به علينا من علم لا يستطيع

تأويل هذا القول يامولاي .. ولا تشريب علينا لو أصدرنا الحكم الآن ! .

لكن ذلك سيثير العامة ، لأنهم يعشقونه .. أنا ليس عندى ما يمنع من

إصدار الحكم الآن ! . لكنى أرى لكى تقوى حجتنا أن نلتمس له خطراً

سياسياً .. وحبذا لو وافانا المفتى بفتوى تبيح دمه ! .



الخليفة : مرحى أيها القاضي ! .

القاضي : أجل يا مولاي ! . لأنه لا يمكن الحكم فى قضية معضلة  
مشتبهة كهذه إلا بالجرم الثابت ، والإقرار العلنى ، والبراهين الصريحة . .  
الخليفة : حسنا . . تلك مهمتك يا إمام ! .

« ينصرف القاضي ، وفى الليل يزوره الوزير حامد الذى يفيض قلبه  
حقدا على منصور ، ظنا منه أن جلفدان تعشقه ، وهذا هو سر إبعادها  
عنه ، ويهدد الوزير القاضي من عاقبة تأجيل إصدار الحكم . . ثم يأمر  
حامد بإرسال منصور فى منتصف الليل إلى دار المشيخة لسحب اعترافات  
أخرى منه ، فلما ذهب الحراس لإخراج منصور ، لم يجدوه فى سجنه ،  
وفتشوا عن باقى المسجونين فلم يجدوا أحداً منهم ، فطار الخبر إلى الخليفة  
والوزير حامد ، وباقى الوزراء ، فأسقط فى أيديهم جميعا ، وشاع الخبر  
فى بغداد فقامت له ولم تقعد » .

الخليفة « لمنصور » : أخبرنا رسول الوزير ، ورسول القاضي ،  
أنك هربت من السجن ليلة أمس الأول ، ثم وجدوك أمس ولم يجدوا  
السجن بمن فيه . . أخبرنا . . أى سحر هذا الذى تصنع ؟ لقد أمرت  
بحبس كل موظفى السجن لإهمالهم . . قل ! . من أعانك على الهرب ؟ !  
والى أين مضيت ؟ ! أنت حيرتنا يا منصور ؟ ! . . . وسحرت الدنيا  
بسحرك ! . ولا بد من شنقك وشنق عصابتك ! . .

منصور : ليست لى عصابة ساعدتنى على الهرب ، ولا ذنب  
للسجانين . . . أمس الأول ، خرجت لزيارة الحضرة ، وأمس جاءت

الحضرة لزيارتى ..

« فينظرون إلى بعضهم البعض فى حيرة ، ويقتاد منصور إلى سجنه مرة أخرى » .

### المشهد الثالث

« القاضى أبو عمر والوزير حامد ، ثم يأتى الجنيد وعثمان المكى ، ومن خلفهم الشهود والمخبرون .. فى وسط القاعة توجد كتب وأوراق كثيرة » .

الوزير حامد « للقاضى » : لقد أخذت القضية وضعاً خطيراً لهروب منصور منذ يومين من السجن .. فحرض العامة بذلك على التمرد والعصيان .. وها هو ذا أمس قد سحر الخليفة بكلامه ، حتى جعله يعدل عن رأيه فيه ، وأصبحت البلد مهددة بخطر عظيم .. وأرى ضرورة سرعة التعجيل بقتله ..

القاضى : أنا المسئول عن الحكم أيها الوزير ! . ويجب أن لا أخضع لأى تأثير .. ولا شك أن خوارق منصور هى التى جعلت الخليفة يغير رأيه ..

الوزير حامد : أتريد أن تسمى هذا السحر معجزة وكرامة ؟ !

القاضى : أياً كان الأمر .. ليس هناك ما يكفى الآن لإصدار الحكم .. وهو لم يعترف بعد ، ولا يمكن أن نبنى الحكم على تأويل وتخريق ! .

الجنيد : العلماء يردون كلام منصور عليه . .

القاضي : لكن لابد أن تكون الحجج قوية وكافية ! .

عثمان المكي : وينبغي أولاً أن نسمع شهادة الشهود ، ثم نستنبط الذرائع من أسفاره وكتبه الموجودة بين أيدينا ، ونستخرج ما تعارض من كلامه مع الشرع ونأخذه بجرمه ! .

القاضي : فيما بعد . .

عثمان المكي : فيما بعد . . متى أيها القاضي ؟ ! والخليفة والعلماء يدينونه ، وهو أيضاً يشهد بكفرانه ، فالجرم الثابت لا يحتاج إلى دليل ! .  
الوزير حامد : لا فض فوك يا مكي ! . فلندخل الشهود ونسمع شهادتهم ، لأن الناس يتوافدون عليه في سجنه كل يوم بالآلاف ، ويسمعون إفكه الذى يصنع فيهم صنيع السحر .

عثمان المكي : فليكن سحراً أو شعوذة أو أى شىء آخر . . نحن لانخشى ذلك . . . لأن زواره من العامة والغوغاء والمرضى والمجاذيب والفقراء والمحتاجين . . .

الوزير حامد : نعم . . لكنه يفتنهم بكراماته ومعجزاته ، ومكانته فى قلوب الناس تزيد يوماً بعد يوم ، حتى أنه نال شهرة وحباً أكثر من خليفة بغداد نفسه ! .

الجنيد : وهذا هو بيت القصيد أيها الوزير ! وهذا هو الجرم الشنيع الذى ينبغي أن يؤخذ به ! .

الوزير حامد وعثمان المكي معاً : هذا صحيح لا ريب ! ،

والخليفة نفسه قد ضاق ذرعاً بما فى شعره وكتبه من إلحاد وشطح فى جلسة أمس !

القاضى : وهذا أيضا لا يكفى لقتله . . .

عثمان المكى : يا سيدى هذا رجل ساحر على صلة بالجن ! ..

الجنيد : وكفى به دليلاً ! ..

« يدخل مخبر إلى القاعة »

المخبر « للقاضى » : ثلاثة أشخاص قدموا من البيضاء ياسيدى ،  
ويطلبون السماح بمقابلتك ، أنت والوزير حامد ، ويقولون إنهم سيقابلون  
الخليفة نفسه وشيخ الإسلام إن لم يسمح لهم بمقابلتك ! .

القاضى : فليتظروا قليلاً فى الديوان . .

« ثم يلتفت إلى الحاضرين »

القاضى : ما أغرب ما نلقى اليوم ! .. ثلاثة من أهل بلدته جاءوا  
يفتدونه بأرواحهم ! .

الوزير : لا ضير ! . فلنحضر الشهود وموظفى السجن المسجونين  
لاستجوابهم ، لكى يكون الطريق نوراً أمامنا ! .

عثمان المكى : إلى بكتبه ودفاتره ، أقتد منها الأحكام ! .

« يطلب القاضى حضور الشهود ، فتمتلئ القاعة بهم بين رجال

ونساء » .

**القاضى :** أرجو أن يتفضل الوزير والسادة الحضور فى الحجرة المجاورة حتى يتوفر للقضاء نزاهته فى استجواب الشهود ! .

**الوزير :** فليكن فيما بعد أيها القاضى ! .

**القاضى :** كلا ! . فلكى تبرأ ساحة العدل ، لابد أن أستجوب الشهود بمفردى ..

« فاستشاط الوزير غضباً وصاح فى القاضى »

**الوزير :** اعلم يا أبا عمر أنك أنت المسئول الوحيد عن هذه المهزلة لقد فاض بنا الكيل ! . وعمت الفتنة البلاد فى الخانات ، والساحات والطرق والمساجد .. وضاعت حرمة الخليفة والوزير وذهبت هيبة الدولة من نفوس العامة !! ..

ماذا تنتظر فى أمر رجل يدعى الألوهية ؟ ! لو مضيت فيما أنت ماض فيه يا أبا عمر ستكون أنت الضحية ! ..

**القاضى :** خفف من غلوائك أيها الوزير ! . فلن يصيبنا إلا ماكتب الله لنا .. وأنا لا أنصاع إلا لشرع الله ...

« يغادر القاضى القاعة ، ويخرج للقاء الثلاثة الغرباء ، القادمين من البيضاء » .

**القاضى :** تركت أموراً خطيرة من أجل مقابلتكم .. فما خطبكم ؟ !  
**الرجل الأول :** سمعنا أن منصوراً الحلاج سيعدم ، وذنبه أنه قال كلمة تخالف الشرع فى الظاهر هى « أنا الحق » ، وهذه الكلمة فى مذهبنا

تعنى أن حقائق الله عز وجل تتجلى فينا ، لأن «من عرف نفسه فقد عرف ربه» ، ولربما تجدون في أشعاره ما يخالف السنة .. ونحن يا سيدى نرجوكم أن تترفقوا به ، لأن له ولداً وزوجاً يعلم الله وحده ما بهما من عذاب وبلاء ..

**القاضى :** أعلم ذلك يا أخى .. وأعلم أيضاً أن معه سيدة لها زوج وابن يلقيان نفس المصير ..

**الرجل الثانى :** نحن نعرف زوجها .. قابلناه ونحن فى سبيل دخولنا لديكم ، وهو يثنى على منصور ثناءً كبيراً .. يا سيدى ! بلدتنا بدون منصور خراب يباب ، كل شىء فيها حزين ، كأنها فى مأتم عليه ! . فهو روح بلدتنا وشعره حياتها ..

**القاضى :** منصور .. إما ساحر ، وإما مجذوب ..

**الرجل الثالث :** كلا يا سيدى ! بل هو ولى أطلعه الله على أسرارهِ ..

**القاضى :** هل رأيتموه فى سجنه ؟

**الرجل الثانى :** نعم ... زرنَاه ..

« عندئذ يأتى صياح وصراخ من الخارج »

( منصور .. منصور .. أنا الحق )

**القاضى :** هذا شأن العامة معه .. يعشقونه ! .

الرجل الأول : منصور يا سيدى وهب روحه لله ..

القاضى : يا قوم ! . أنا لست أهلا للاجتهاد .. وليس بوسعى إلا أن أنطق بحكم الشرع ..

الرجل الثالث : يا سيدى ! . العدل هو أعظم ما أمر به الله ..

القاضى : هذا أمر طبيعى يعرفه الجميع ، وأنا أبذل وسعى لأكون عادلاً فى أحكامى ..

الرجل الثالث : غير أنكم يا سيدى تعلمون ، ويعلم معكم الوزير وشيخ الإسلام أنكم تلعبون بالنار ، لأن حال منصور لا يمكن البت فيه عن طريق العقل ! .

« فيثور القاضى ويرفع صوته فى حدة وغضب »

القاضى : لا تغلوا فى كلامكم ... وإلا لن أسمع لكم ، وورائى أمور جسام ! . « تخرج الهيئة ويدخل الجنيد »

الجنيد : أنت مضطرب ، مشتت الذهن ! .

القاضى : أنا فى غاية التعب والإرهاق ..

الجنيد : كلا .. بل هناك أمر خطير يشغلك !

القاضى : ليس إلا ما نحن فيه ..

الجنيد : لقد أضنانا البحث ...

« ينظر القاضى إلى ساحة القصر ، ويشرد بذهنه فيما دار بينه وبين

الثلاثة القادمين من البيضاء ، فراح يرسم فى مخيلته صورة منصور بوجهه



الشاحب ، وعينيه الحالمتين ، وهيئته الفريدة الغريبة ، وازدحمت فى رأسه أفكار مفزعة ، ثم نظر إلى الجنيد كمن أفاق من كابوس ، وقال :

القاضى : جنيد أفكر فى تقديم استقالتي من عملى هذا خوفاً من عاقبة هذه القضية المعضلة ! .

« فيقول الجنيد فى دهاء وذكاء ورياء » .

الجنيد : هذا عبث وهوس ! .

القاضى : لماذا يا شيخ ؟ ! .

الجنيد : لماذا ؟ لأن كلامك غريب بنيته على أحكام فاسدة . . .

القاضى : كلام غريب ! . .

الجنيد : أجل ! . كلام غريب ، وعبث ! ألا تعلم يارجل أنك حين تنهى هذه القضية الشائكة ، وتصدر فيها حكماً ، ستنال الحظوة والمكانة الساحقة فى بغداد ! وستصل إلى أعلى منصب فى الخلافة ، وتعيش هانئاً تتمتع بالسلطان والجاه . . . أرايت كيف أن كلامك عبث ؟ !

« يدخل عثمان المكى ، ويشغل نفسه بتقليب صفحات كتاب بين يديه ، ثم يضع الكتاب فى مكانه » .

عثمان المكى :

جاءتنى فكرة ، سنستدرج منصوراً ، ونباحثه فى مسألة الإرادة الجزئية والكلية ، وهو لا شك ملحد فيها ، ومن هنا نستطيع أن ندينه ! .

الجنيد : مرحى .. مرحى يا مكى ! . تلك حقاً مسألة هامة .. من  
متشابه القرآن ..

« تدوى الصيحات مرة أخرى فى الخارج »

( منصور حق .. منصور حق .. لا تقتلوه ... لا تقتلوه )

« فيمتقع لون القاضى وينظر إلى الوزير »

القاضى : ولهذا رفضت أن أسمع شهادة الشهود اليوم ! .

الوزير : لدينا من يشهد بغير هذا .. فليحضر منصور الآن ! ..

« يدخل منصور »

القاضى : ما هو اعتقادك فى إرادة الله الكلية والجزئية يا منصور ؟

منصور : اعتقاد أهل السنة ..

القاضى : قل لنا ما هو ؟ !

منصور : قلت ليس لى اعتقاد إلا اعتقاد أهل السنة .. غير أنى

أضيف إضافة صغيرة ، وهى أن الإرادة الجزئية عدم ، والإرادة الكلية  
خلود ..

القاضى : هل تنكر اليوم الآخر ؟

منصور : آمنت بالله ! ..

القاضى : قل ، كيف آمنت ؟

منصور : كما يكون الإيمان يا سيد ..

القاضى : كلامك متناقض ! ..

منصور : اتقوا الله فى دى ، ولا تهدروه بتأويلكم وتبديلكم ..

الجنيد « المنصور » : لقد تعبدنا معاً فى خلوتنا يا منصور ..

ثم رفضت طريقى ، وخلعت الخرقة وتجردت ، ونصحتك كثيراً فما انتصحت .. فلتل عاقبة تمردك وخسرانك ..

منصور : لكنك الآن غيرت شكلك وهيتك يا جنيد ..

عثمان المكى : يقولون يا منصور إن العوام هوام ! . وهم بعقولهم الساذجة لا طاقة لهم على فهم رموزك وإشاراتك التى كنت تفشوها بينهم . . . . . فضلوا بها ولا يسأل عن هذا الضلال إلا أنت .. وستنال جزاءك ..

منصور : وما جزائى يا مكى ؟ !

عثمان المكى : أتذكر يا منصور يوم لقتك « باب التوحيد » ذلك الكتاب الفريد الذى ضننت به على كل الناس .. وانتهزت فرصة انشغالى فغافلتى وسرقتة ، ورحت تقرأه على الناس وتنسبه إلى نفسك ؟ .. لكنهم ردوه عليك لأنك لم تفهم معانيه الدقيقة .. فدعوت عليك يومها وقلت « اللهم اقطع يديه ورجليه من خلاف » وها أنت اليوم تستجاب فيك دعوتى .. والله يمهل .. فهيا لتلقى جزاءك .. هيا ! .

منصور : سبحان الله ! . لا يأتى من عند الله إلا الخير يا مكى ! .

« ينهض القاضى من مكانه ، فيبادر الوزير بسؤال منصور »

الوزير : هل تقيم الصلاة يا منصور ؟

منصور : أصلى فى اليوم أربعمئة ركعة .

الوزير : هل تصوم يا منصور ؟

منصور : أنا صائم كل يوم ..

الوزير : ألسـت تعذب نفسك ، وتكلفها ما لا طاقة لها به ! .

منصور : الوصول للحبيب يعنى إذلال النفس اللوامة ، وازدراء النفس الأمارة ، وذلك لا يكون إلا بالتقشف والزهد والجهد ، والرياضة والخيرة والذكر ، والتزيه والتوحيد .. والمخلوق لا يتحد بالخالق أبدا ، والله سبحانه يهدى من يشاء من عباده .. أما من على أعينهم غشاوة فهم لا يرون شيئا من هذا .. ولو ذقتهم كما ذقنا ، لقلتم كما قلنا ! .  
الخيرة يا قوم هى الأستاذ الأكبر للإنسان ، والروح هى قربانها الأخير ، وهى تعشق هذا الفداء وترى فيه الكمال والكرامة وما أقل الأرواح التى تنبت فيها الورود ! .

الوزير : ولهذا أنت تهيم غراما بجلفدان ! ..

منصور : معاذ الله ! . أنا لا أعشق سواه ! .

الوزير : وتحترق فيه ! .

منصور : .....

« يدخل القاضى مسرعاً من الركن الآخر فى القاعة ، وقد تملكته

الثورة لتدخل الوزير فى استجواب منصور ، فيقول له فى حدة «

القاضى : أولاً : من أكبر الخطأ أن تستجوبه دون إذن منى .

ثانياً : واضح تماماً أنك تتحامل عليه لأسباب شخصية ! ..  
والا ...

فلماذا تتدخل فى التحقيق معه ؟ ! لابد أن يعلم الخليفة بهذا الأمر  
ومهمتى أن أنصب ميزان العدل فى هذه الساحة ...

« فأسقط فى أيديهم جميعاً .. ينصرف الجنيد والمكى » .

الوزير : لقد انتهت مهمتك الآن أيها القاضى ! . هيا معى إلى  
الخليفة .. وسوف أشرح لك الأمر فى الطريق .. وسنأمر الآن بإيداع  
منصور سجنه ، وعودة الشهود إلى منازلهم اتقاء للفتنة ! .

القاضى : « فى ثورة عارمة »

بل سيواجه الشهود منصوراً الآن ! . ولن أمضى معك إلى الخليفة  
ولا إلى شيخ الإسلام .. وسيستغرق التحقيق طويلاً ، فلا تنتظرنى ..  
وسوف أغادر القاعة إلى بيتى ..

« يمضى الوزير كاسفاً مغيظاً ، وقد عزم على أن يطلع الخليفة على ما  
كان ... ثم يدعو القاضى شهود منصور لسمع شهادتهم ، فيمتنعون عن  
الشهادة أول الأمر ، ويتعللون بأنهم لا يعرفون شيئاً ، لكنه ظل يحاورهم  
ويجادلهم حتى واجهوا منصوراً .. وبعد أن فرغ من التحقيق ذهب إلى  
القصر ليطلع الخليفة على نتيجة التحقيق ... » .

ستار

## الفصل الخامس

### المشهد الأول

#### فى الديوان

« فى قصر الخليفة المقتدر بالله ، الخليفة وعن يمينه شيخ الإسلام المعتصم بالله ، وبجانبه القاضى أبو عمر ، وعن يساره الوزير حامد ، وبجانبه عدد من الوزراء . . يحضر الجلسة جماعة من الشيوخ والعلماء من بينهم الجنيد والمكى وعبد الله بن خفيف ، وجماعة قدمت من البيضاء بلد منصور »

شيخ الإسلام المعتصم بالله : تريدون الحكم ! . الحكم سهل ، يستتاب ثلاث مرات ، فإن لم يتب ويستغفر الله كان له فى الدنيا والآخرة عذاب عظيم . . .

عبد الله بن خفيف : مهلا يا شيخ الإسلام ! فتائج التحقيقات كلها أسفرت عن أن الاتهام الموجه إلى منصور باطل أساساً ، لأنه ليس هناك إقرار واضح من منصور أو شهادة الشهود أو من كتبه يؤكد أنه ملحد كافر . .

الخليفة المقتدر بالله : إذن فما العمل . . يرحمكم الله ؟ ! لقد عمت الفتنة بغداد وكل البلاد . . هل يعجز الخليفة والوزراء ، والعلماء والشيوخ عن حل هذه المشكلة ؟ !

الوزير حامد بن العباس : الحل سهل يا مولاي .. لكنه يلتوى  
أحيانا ويستعصى ... هذا رجل يدعى الألوهية فى شعره ، وفى حواشى  
ديوانه أفكار فلسفية تهدم الدين وتفسد العقيدة .. وهذا وحده يكفى ..

رشيد الدين البلخى : هناك ما ينقض كلامك يا سيدى الوزير ، إذ  
أن كثيراً من القطع الموجودة فى ديوان منصور منحولة مرسوسة عليه ...  
والدليل على ذلك أن الركة والإمالة هما السمة الغالبة على ديوانه ..  
ومنصور رجل بليغ ضليع من أهل المعرفة والكشف ودرويش كامل .. ولا  
يصل شعر أهل الذوق أبداً إلى هذا الدرك .. منصور يرى كل شىء فى  
أعلى سمته وبهاء فكيف يصدر عنه الكفر والإلحاد ؟ - لكنكم جميعاً  
أجمعتم على إعدامه وتريدون إحكام حبل المشنقة ... فأين الدليل ؟

نورى : يكفى خطه

رشيد الدين البلخى : مزيف ..

عثمان المكى : كل هذا كلام صحيح .. وأنا أعرف أن منصوراً  
رجل مغرور متغرطس يحمل رأساً عنيدة .

الوزير : وسيدفع رأسه فى هذا الطريق ..

نورى : نعم .. سيخسر رأسه فى هذا الطريق . ولسنا نشك فى  
أنه عالم من العلماء ، وعارف من العارفين وإن كان لم يدخل مدرسة أو  
يُعيَّن فى منصب المدرس أو المفتى ، لأنه لا يصلح لأى منهما ، فمضى فى  
طريق الوجد والعشق ليصل إلى الله ... لكنه ضل ولم يبلغ شيئاً مما أراد



فعاش يضرب على غير هدى ، فادعى أن الله يحل به ، ولجأ إلى السحر  
فسحر الناس ، فمنهم من صدقه ، ومنهم من أنكره . . . وكفى بالسحر  
حجة دامغة تدمغه ! .

الوزير : نعم . . نعم . . فالجرم ثابت ، فضلاً عن اعترافه به فى  
جهازة وصراحة . الشبلى :

اعترافه من كمال عشقه يا سيد . . أبو عثمان :

ما سمعنا أحداً من الأنبياء قال كما قال يا شبلى ! .

الخليفة : منصور لا يعترف بكفره ، بل هو كل مرة يكرر أنه  
مؤمن ، وكنت أريد فى المحاكمة السابقة أن أبيع دمه ، غير أن القاضى أبا  
عمر أبطل ما كنت أنوى . . ثم يدعى أبو عمر أن الوزير حامد بن العباس  
يرهبه ويرغبه بشتى الحيل كى يحكم بإعدام منصور ، ويدعى أيضاً ، أن  
شهادة المكى والجنيد لا تصح لأنهما يحملان فى قلوبهما حقداً قديماً على  
منصور لأسباب شخصية . . ثم يدعى أن الهيئة التى تحاكم منصوراً تتبع  
الهوى ولا تصلح لإنفاذ شرع الله وأحكامه . . ويقول إن وزيرى حامد بن  
العباس يكره منصور كراهية شديدة لأنه بسحر كلامه قد جعل سيدة  
مجهولة يعشقها حامد ، تهيم فى الله حبا . . فتركته يكتوى نار حبها ،  
ولذلك يحاول حامد إعدام منصور لتخلص له هذه السيدة . . فماذا ترون  
فى هذا الأمر ؟ !

نورى : مادام الأمر هكذا ، فسيكون الحكم باطلاً ! . .

عثمان المكي : يا مولاي .. لقد أصدر المفتى فتواه في حضرتكم  
وقرأتموها ، وليس في الأمر خصومه أو موجهة قديمة ..

« يتظاهر الخليفة بأنه لا يسمع كلامه »

الخليفة : بغض النظر عن الخصومة .. ماذا تقولون في رجل اختفى  
من السجن في يوم ، وفي اليوم الثاني ظهر هو واختفى السجن بمن فيه ..  
أليست هذه كرامة ؟ ! أنا ما رأيته يفسد في الأرض ، وما شهدت عليه  
باطلا .. ولهذا فإنني أرى أن أطلق سراحه ليعود مع أهل بلده الذين جاء  
وا يطلبونه ..

أحد الوزراء : كيف يا مولاي ؟ ! ما يقال عن علاقة حامد  
بالسيدة ، من وشايات وأوهام العوام .. والوزير حامد لا يهدف من  
استعجاله إصدار الحكم إلا استتباب الأمن في البلاد .. وقطع دابر الفتنة  
التي استشرت في بغداد وما حولها من أقاليم ..

الوزير حامد بن العباس : يا مولاي هذا رجل مفسد ، ينشر  
الفساد بين الناس ، يقول لهم «أنا الحق» ويضللهم فيقول « أنا لا أتمسك  
بشيء من السنة » ، ولقد قرأت عليكم من أشعاره ما رأيت في فلسفة  
الحادية وخروجا عن القرآن والسنة ..

ترابي : حاشاه يا ابن العباس ! ..

عياض البخاري : ليس كل من هنا يؤمن بكلامك يا حامد ..  
ونخشى أن ترمينا أيضاً بالكفر ! .

الوزير حامد بن العباس : أريد أن أفصل لكم شيئاً آخر : هذه السيدة التى تسمى «جلفدان» سيدة مجذوبة مجنونة ترافق الجن والعفاريت . . وفى الأيام الأولى للقبض على منصور والتحقيق معه ، جاء من أخبرنى أن جلفدان كانت تتزوج رجلاً يدعى « خليل » وأنها أنجبت منه طفلاً صغيراً ، لكنها قابلت رجلاً مجنوناً يدعى « منصور » أضلها وأغواها ، فهجرت زوجها وبيتها وخرجت هائمة على وجهها . . وكان ابن والى تبريز يحبها فلما صار حالها هكذا ضل فى الجبال ستة أشهر وعاد مجذوباً مجنوناً . . ألا فاعلموا أن هذه السيدة يربطها بمنصور غرام قوى ، ولذلك تتبعه ، وهى الآن محبوسة فى بيت الإمام مع أشباحها وعفاريتها ، إنها سيدة مجنونة .

الخليفة المقتدر بالله : أنا أعلم ما ترمى إليه يا حامد . . . لكن لا ينبغي أن نكثر الجدل فى هذه المسألة ، والمهم هو ماذا تعنى بقولك أن منصوراً يهدد المملكة كلها ؟ !

الوزير حامد : معلوم يا مولاي أننى أبغى صلاح الدين والدولة ، ومنصور اليوم سلطان بلا ملك ، وقد يأتى يوم يحكم فيه بغداد فينتقم منا ويطيح برقابنا .

الخليفة : ما هذا اللغو يا حامد ؟ !

الوزير حامد : يا مولاي . . كل الأرواح والعفاريت عبيد له . . وله من القدرة على أن يقول للشئ كن فيكون ، وكل من يخالفه فيما يريد يقتله . . .

« يدخل حارس وبواب . . . يعلن الحارس أن الجماعة القادمة من  
البيضاء تريد مقابلة الخليفة . . فيأمر الخليفة بدخولهم عليه ، فيدخلون  
يضعون أيديهم اليمنى فوق صدورهم »

**الرجل الأول :** سمعنا أن الخليفة - أيده الله - سيصدر أمراً بالعفو  
عن منصور ، ويرده معنا إلى بلده . . .

**الرجل الثاني :** منصور يا مولاي عارف أسكرته خمر القدرة ،  
وعاشق انقطع إلى الله . . في قلبه مواجيد وأشواق لا تنفذ ، وهو في  
عشقه من الصادقين . . تستعر نار الوجد في قلبه فتحرقه ، وتتجلى له  
لوامع اللطف الخفى فتأخذه من نفسه وتغيبه فيجن ويخلع العذار ويكشف  
الاستار . . . فيصرخ ويصيح ، ويبكى ويضحك ! وكلام العشاق يطوى  
ولا يحكى . . . ونحن نشكر لكم يا مولاي عظيم فضلكم لتفهمكم حقيقة  
حاله . .

**الخليفة المقتدر بالله :** هل تحبون منصورا إلى هذا الحد ؟ !

**الرجل الثالث :** هو أفضل الناس والمخلوقات . . نوره من نور الله  
، وبجنيبه أسرار القدرة والمعنى ، اتحد بخالقه فوهبه خلوده ، وهو فوق  
الزمان والمكان ، وهو سر « أنا الحق » .

**الخليفة :** أرى في كلامك فضولا يا رجل ! !

**الرجل الثالث :** كلا يا مولاي . . . هو حفيد زرادشت وخليفته  
الوحيد . . وعفوكم عنه فيه خير وصلاح للدولة . . وقطرة واحدة من دمه ،  
تكفى لتدمير بغداد كلها . . واعلم يا مولاي أن البلاد كلها تضج

بالشكوى من الظلم والعسف وجبروت الولاة .. والناس جميعاً فى ضيق  
وضنك ينتظرون عالماً أفضل ، ونحن لن نبرح الأرض حتى تصدروا الأمر  
بالعفو عن منصور وجلقدان .

الخليفة : من أبلغكم نبأ عفو عن منصور ؟ !

الرجل الأول : « منصور يا مولاي .. كنا أمس نزره فى  
السجن ، فقال لنا : « ما قد حان خلاصى ، سأبلغ مرامى ، وتنتهى  
حيرتى ! »

« شيخ الإسلام ينظر إلى الأرض كى لا يظهر التأثر فى عينيه ،  
ويهمهم بصوت خفيض كى لا يظهر الارتعاش فى صوته » .

الخليفة : يا قوم ! .. لازلنا بصدد إصدار حكم فى قضية حسين بن  
منصور الحلاج ، ولم نفرغ منه بعد .. وليس ما يدعو لانتظاركم لأنه  
لا مكان لكم ، وقد يتأخر الحكم مدة من الزمن ، فتفضلوا أنتم عودوا إلى  
بلادكم .. وطبعى سنطلق سراح السيدة ..

« تخرج الجماعة »

الوزير حامد بن العباس « للخليفة » : رأيت يا مولاي كيف كان  
كلامى صادقاً صائباً ؟ !

الخليفة المقتدر بالله : « يقف الخليفة ممتقع اللون ويتمتم » : ينبغى  
أن نؤجل إصدار الحكم غدا .. إني ذاهب الآن إلى السجن ، لأطلع على

حال منصور بنفسى ، وسوف أصلى الليلة صلاة الاستخارة .

الحاضرون :

بنفسك يا مولانا ؟ !

« يخرجون »

## المشهد الثانى

« هى ليلة يطيب فيها العشق .. زهور الخشخاش التى تتراقص على شواطئ دجلة ، ونجوم الليل التى ترقب النهار ، وبغداد الساجية الحاملة .. ومياه دجلة التى تغازلها أضواء النجوم ، وتغمر وجهها بقبلات حارة ، فتأبى المياه وتتوارى تحت ظلال الأشجار والصخور .. بينا تظل الأضواء ترقبها ! . فيا لله ! ماء رقراق وسكون وعشق ! . فى هذا الجو يجلس منصور وجلفدان تحت نخلة .. »

منصور : فتحت البراعم ثغورها الحمراء

فكأنما الدنيا خيال ينعكس فوق الماء

فلم النوم والموت يا جلفدان . ؟

أيدرك الكرى العالم النشوان ؟ .

النهر مستغرق حيران ..

والبراعم تتراقص فى الأغصان ..

والأضواء والآفاق الحاملة ..

وقصائد الغزل والنسائم العطرة ..

هى بهجة الدنيا الفاتنة ..

فتأملى النور السكران ..

واسمعى صوت السكون الولهان .



تلك ليلة للعشق لن تعود ..  
ومع الفجر أودعك وتنقضى العهود ..  
يوحى إلى الليل والماء والسكون  
بالألم والخذلان ..  
رجاء أن أراك فى الجنان ! .  
تنعمين بالحلى والمرجان ...  
تلك ليلة للعشق لن تعود ...  
ومع الفجر أودعك وتنقضى العهود ..  
جلفدان : أى كلام هذا يا منصور .. أى كلام ؟ !  
أنا لن أفارقك يوماً من الأيام ...  
أنت حزين يا منصور .. خيران ! .  
وأنيك بلغ عرش الرحمن ! .  
أىكون اليوم مهذاً للكون يا منصور ؟ !  
أو هل تحترق بالماء الطيور ؟ !  
خرجت بالليل بين الرياض وحدى ..  
فأحسست بشوقى ووجدى ..  
ورق قلبى لغصن مكسور ..  
أنت هذا الغصن يا منصور ! .

فأى كلام هذا يا منصور .. أى كلام ؟ !

أنا لن أفارقك يوماً من الأيام ...

أنت حزين يا منصور .. حيران ! .

وأنتىك بلغ عرش الرحمن ! .

« يرفع منصور وجهه نحو السماء ، يرقب ملك الشفق وهو يتهاى

للرحيل . »

« ومع الفجر يأتى الوزير حامد بن العباس إلى السجن ، وبعد مدة

يأتى الخليفة المقتدر بالله . »

كبير السجانين « بحدة » : ما هذه المخاريق التى تفعلها أيها

السجين ؟ ! بعد منتصف الليل أرسلت حارسين إلى حجرتك ، حاولا

فتح الباب فما انفتح ، ولم يقفا لك على أثر .. ثم أرسلت رجلين آخرين

قبل الفجر لكنهما عادا يقولان إنهما يسمعان أصواتا غريبة مخيفة ..

فأمرت بجلدهم جميعا ..

منصور : كنت أحس بحيرة واجفة وأنا فى هذا الركن الضيق ..

وحير عقلى سؤال : ترى لماذا طلب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى

الله فى معراجه أن يصطفى فريقاً من أمته ويترك باقى الأمة ؟ فإذا بالرسول

يأتينى فى صورته البشرية ويقول لى «قلوبنا يا منصور هى عرش الرب ،

وتلك مشيئته ، ومشيتنا أيضا ، ولو كان الله يريد الأمة كلها ، لطلبناها ،

لكنه أراد الصفوة التى لا يتسع قلبها لغير الله ، ولذلك كنت متواجداً

غائبا عن نفسى ، أخطب أصواتا علوية .. وقبل أن يتركنى رسول الله  
كنت أردد معه ( اللهم اجعل روح عاشقك تحلق فى سمائك ، لتتحقق من  
غرامك .. ) ، ولم يحدث غير هذا .. رسول الله لا يريد الغافلين  
النائمين ! . وأنا يا هذا لم أزعج أحداً بحركتى .....

كبير السجانيين : انهض .. وهيا معى .. فهناك بالباب عدد من  
النسوة ورجلان ينتظرونك .. كما جاء حامد لمقابلتك ..

منصور : هيا ...

« فى حجرة خاصة فى القسم الخارجى من السجن يقف الوزير حامد  
منتظراً .. يدخل منصور ناحل الجسم ، شاحب الوجه .. ثم يدخل  
القاضى أبو عمر . »

الوزير حامد بن العباس : منصور ! جاءت أمس جماعة من  
«البيضاء» وقابلوا القاضى وشيخ الإسلام ، وقابلونى أنا والخليفة المقتدر ..  
ورجونا أن نطلق سراحك من أجل زوجك المسكينة وولدك « مغيث »  
الصغير ... فاعدل عن كلامك وثب إلى رشدك ... واقطع علاقتك  
بجلفدان ... أنا سأطلق سراحها وأجعلها تعود إلى بيتها وطفلها مع تلك  
الجماعة ، أما أنت فلا ... لأن جرمك ثابت والبراهين عليه كثيرة فى  
كتبك وشعرك .. وكل برهان منها يكفى لإعدامك ...

منصور : لكل شىء نهاية إلا العشق فلا نهاية له .. لأن خلود  
المعشوق يمنح العاشق الخلود ..

الوزير حامد : عنادك يقودك إلى النار ! .

منصور : أنا أحترق فى نار العشق ، وأركض فى حديقة اللهب من الأزل ، ويجمعنى والعنقاء عش واحد ..

الوزير حامد : يا للهوس ! هذه الخرافات هى التى ذهبت بعقلك !  
فلماذا تركتك العنقاء وحيداً ، سنحضرها ونسألها !

منصور : الصورة تتلاشى عند الوصول .. أنتم غدا ستخلصوننى  
وتتحفوننى تحفة العشق المكنونة .

الوزير حامد : كيف عرفت هذا ! ؟ ومن أين ؟ !

منصور : أنتم الليلة تنظرون فى النجوم ، وتصلون الاستخارة ، وأنا  
رأيت أمس فى صفحة السماء أنى بلغت مقام الوصول .

الوزير حامد : ونحن نتظر صدق النبوءة ! ....

منصور : هذا غيب ، قد يطلع الإنسان عليه أحد ملائكة اللوح  
المحفوظ ، أو يطلع هو عليه بقدرته ، ونحن نسمى أصحاب هذه الحال «  
أهل الرؤية » وتسمونها أنتم « الفأل » .. لا عليك ! .. فالمهم أننى  
صعدت إلى سماء الفأل وقابلت الملائكة المكلفين ، ثم إننى استخرت فى  
الليل ، ورأيت أننى بلغت مقام الوصول ..

الوزير حامد : هذه أوهام .. ويبدو أن عشقك للسيدة الفاتنة قد  
سلبك عقلك ! .

منصور : نعم .. طرت بالعشق إلى الحبيب ، ووصلت إليه ..

الوزير حامد : أنت واهم مجنون ...

منصور : أولست أنت الآخر تحيا فى وهم وبطلان ؟ !

الوزير حامد : نحن نسمى المتعلقين بالخيال من أمثالك سحرة

ومشعوذين ..

منصور : كلا ... كلا ! .

الوزير حامد : إذن ، فماذا تسمى هروبك من سجن محكم ، بابه

من حديد وعليه حراس غلاظ شداد ؟ ! كيف تخرج من سجنك ولا يراك

أحد ، ثم تنزل الأسواق وتمشى فى الطرقات ، وتعظ الناس فى المساجد ؟

كيف .. كيف ؟ !! أليس هذا هو السحر أم هل كان الحراس يساعدونك

على الهرب ؟ ! لقد شاهدك الناس أمس تمشى فى سوق العطار !! ..

أليس هذا هو السحر ؟ !

منصور : حاشا لله ! ..

الوزير حامد : والمسجونون المحبوسون كل فى حجرة بمفرده ..

كيف كنت تجمعهم جميعا حولك ؟ !!

منصور : حاشا لله ! .. هذا إثم ..

الوزير حامد : لا .. بل هو سر يجعلك تخلق مع جلفدان فى

السماء ! .

منصور : معاذ الله ! قلت لك أنا لا أعشق غير الحق !

« يدخل الحارس ويقود منصور إلى حجرة القاضى »

القاضى أبو عمر : منصور ! . إن لم يكن أحد من حراس السجن  
قد أطلق سراحك ، فهل أخرجتك الجن ؟ !  
منصور : كلا .. بل خرجت بنفسى ..  
القاضى : من أين ، وكيف ؟  
منصور : من الباب ..  
القاضى : هل كان الحراس نائمين ؟ !  
منصور : الحراس لا ينامون ..  
القاضى : هل كانت الأبواب مفتوحة ؟ !  
منصور : بل فتحتها أنا ..  
القاضى : أمعك مفتاح .. أم خاتم سليمان ؟ !  
منصور : حاشا لله ! ..  
القاضى : أجيئوا أنتم أيها السجنانون ..  
السجانون : نحن لا نغفل برهة ، ولا نترك مواقعنا ، لكننا ما رأيناها !  
منصور : صدقتم ..  
القاضى : « مخاطبا رجلا وامرأة من الشهود » .. وأنتما ؟ !  
الشهود : رأيناها ..  
القاضى : متى .. وكيف ؟ !  
أربعة من الشهود : رأيناها ليلة أمس مع جلفدان تحت نخلة على

شاطيء دجلة ..

القاضي : كلامكم باطل ولا يخلو من غرض وحقد ! .

« يدخل الوزير »

الوزير حامد بن العباس : كلا .. فمنصور يشهد بذلك

« فلا يهتم القاضي أبو عمر بكلام الوزير كأن لم يسمع شيئاً »

القاضي « للسجانين المحبوسين » : وأنتم ماذا رأيتم ؟

السجانون المحبوسون : « ينظرون فى حيرة » ..... !!

القاضي « للشهود الأربعة » : هل كنتم على مقربة من منصور

وجلفدان ؟

الشهود الأربعة : كلا يا سيدى ! .. بل كنا بعيدين .....

القاضي : تقولون إنهما التقيا بالليل قبل الفجر ، فكيف استطعتم

معرفة شخصيهما فى الظلام ، وأنتم بعيدون ؟ !

الشهود الأربعة : لقد رأينا أولاً ، ثم رأينا جلفدان من مكان قريب ..

كنا جلوساً فى الناحية الأخرى من الساحل ، فسمعنا منصوراً يقول كلمات

غزل مثل «العشق .. السماء .. الأرجوان ...» فعلمنا أن التى معه سيدة

يعشقها ، ودفعنا الفضول إلى الاقتراب منهما وتبعهما ...

القاضي : هذا كلام فيه فجور وحقد ! ..

الوزير حامد : كلا .. فمنصور يشهد بذلك ..

القاضي : سبق لك أيها الوزير أن حكمت على هذا الرجل بالكفر ،

وأخذت تسقط كلامه المبهم لتحكم بقتله ، فدعنى معه حتى يستقيم ميزان العدل ! ..

الوزير : هو كافر مفسد ..

« يخرج الوزير مغاضبا »

منصور : عرف الحق الحق ، فأصبح هو هو .. أنا راض بما تحكمون به .. وسوف ينفذ غدا ، ولست أرى ما يدعو لهذا التحقيق العقيم ..

القاضى : هذا وهم وخيال يا منصور ! .. من أنبأك هذا ؟ ! لم يصدر أى حكم بشأنك حتى الآن ..

منصور : هذا الحكم صدر منذ زمان بعيد وأنا أعلمه ..

القاضى : كيف ، ومتى يا منصور ؟

منصور : يوم غصت فى بحر البلاء ..

« يلتبس الأمر على القاضى فيغادر القاعة ، ويقتاد الحراس منصورا إلى سجنه ، وينصرف الشهود والحضور كل إلى شأنه ... وتغلق الأبواب » .



## المشهد الثالث

« السجن ... البهو .. إيوان السياسة فى « باب التقى » .  
( مناقشات بين المسجونين فى ساحة السجن ، بينا تمضى جماعة منهم  
إلى منصور فى محاولة لإضعاف عزيمته ) .  
سجين « لمنصور » : فكر جيداً يا منصور .. الحق وجود ، وأنت  
عدم أنت مجنون يا منصور ! .  
منصور : كلا .. أنا لا يدركنى الفناء ...  
سجين آخر : وهل فى السجن إلا الفناء ؟ !  
منصور : أنا ليس لى سجن يا أخى ..  
سجين ثالث : ها .. ها .. لعلك تظن قضبان الحديد والجدران  
والأبواب الغليظة المغلقة رياض الجنة !! أو لعلك تحسب السجناء الغلاظ  
الشداد حورا وغلمانا !! .  
منصور : كل مكان لى جنة ، وكل إنسان أراه ملكاً كريماً ..  
سجين آخر : لكن ليس هنا يا منصور ..  
منصور : أيها المسجونون ! هل تريدون أن أطلق سراحكم ؟ !  
جميعاً فى صوت واحد : أطلقنا يا مولانا ، يرحمك الله ! ..  
منصور : إن شاء الله ..  
« يدق منصور الأرض بإحدى قدميه ، فتتفك أغلالهم وقيودهم ...  
فيصعقون من الدهشة »  
جميعاً فى صوت واحد :

لكن الأبواب مغلقة يا مولانا ! .

منصور : سأفتحها إن شاء الله ..

« يشير منصور إلى الأبواب ثلاث مرات ، ثم ينفث في يديه سبع

مرات فتفتح الأبواب ، فينقلب المسجونون على قدم منصور يقبلونها »

جميعاً في صوت واحد : هيا اهرب معنا ..

منصور : لى مع خالقي سر .. فانطلقوا أنتم ..

« فينطلقون جميعاً ، وعددهم ستمائة .. ويتتبع الحراس والسجانون

ليجدوا السجن خالياً إلا من منصور »

كبير السجانين لمنصور : أين المسجونون يا منصور ؟ !!

منصور : أطلقت سراحهم ..

كبير السجانين : ولماذا لم تهرب معهم ؟ .

منصور : لى مع ربي سر ، وموعد ألقاه ها هنا ..

« فصعق السجانون والحراس من الدهشة ، وأبلغوا النبأ على الفور

إلى الوزير والخليفة ، فتملك الخوف الخليفة ، وبلغت الحيرة به مبلغها ،

فأصدر أمره إلى الوزير حامد بالتحرك العاجل لاستئصال الفتنة ، وانطلق

مع وزيره إلى السجن .. وقبل الصباح نقل منصور في سلاسله إلى

الإيوان .. واجتمع مجلس طارئ من المسئولين »

الخليفة المقتدر بالله « لمنصور » : أنت زنديق .. أنت ملحد ..

أنت مفسد ! ولا بد من قتلك ! ..

منصور : أعرف ذلك ، وأقول « أنا الحق » .

شيخ الإسلام : فسر يا منصور : من هو الحق ؟ .. وكيف الطريق إليه ؟ !

منصور : هذا سر واضح .. نحن نسعى إلى الله على قدمين : قدم تسعى نحو الدنيا ، وقدم تسعى نحو الآخرة ..

شيخ الإسلام : ما الفقر ؟

منصور : الفقر هو الاستغناء .. أن تستغنى عن كل شيء ما عدا الله ، هو في الدنيا : الزهد في النفس ، وفي الآخرة : الزهد في القلب ، أما هو فهو الزهد في الزهد ..

شيخ الإسلام : ما الإخلاص ؟

منصور : الإخلاص يعنى أن تذوب نفس المرء في أفعاله ، فلا يعرف الشرك أو الرياء ..

شيخ الإسلام : ما الوقت ؟ وهل للعارف أوقات ؟ !

منصور : ليس للعارف وقت ؛ لأنه لو كان له وقت ، لصارت له صفة وليس للعارف صفة ..

شيخ الإسلام : ما الهداية ؟ !

منصور : هي التجلى الذى يفجر السر ، فيمنح العبد الخلود ،

العارف يأتيه الوحى من السماء ، فلا يصبح فى قلبه مكان لغير الله ،  
ولذلك فهو لا يهتم بجفاء الناس له ..

### شيخ الإسلام : ما العشق ؟

منصور : للعشق سبعة مقامات ، بعدها يطوى العاشق ثلاث مراحل  
هى : اليوم والغد وما بينهما .. فى الأولى يُشقق ، وفى الثانية يُحرق ،  
وفى الثالثة يُحلّق فى السماء .

شيخ الإسلام : أحكم الآن وأنا مطمئن أنك ملحد ،  
أولاً : لخروجك عن الشرع ، وثانياً : لإثارتك الفتنة ، وثالثاً : كشفك  
ستر الله .. نعم ، نحن نعرف أن للشبلى نفس العقيدة ، لكنه مجنون ،  
وللجنيد أيضاً نفس العقيدة ، لكنه تاب وأتاب .. فتب واستغفر الله ،  
وقل « هو الحق » ننجيك بيدتك ...

منصور : من يطلب الواحد لا بد أن يموت واحداً ..

### شيخ الإسلام : هذا ظلم ..

منصور : الظلم هو عدل الله ..

الخليفة المقتدر : أنت تظلم نفسك يا منصور ..

منصور : بل أكرمها يا سيد ، وهذا عندى هو الإخلاص فى العشق ..

الوزير حامد : « يقول حامد ظناً منه أن منصور يعنى جلفدان فى

كلامه » ،

لكن حبيبتك عادت إلى زوجها !

منصور : سبحان الله . . « أنا الحق » يا رجل . .

الوزير حامد : « متجهاً إلى هيئة المحكمة »

ولذلك يختلف فيه الناس ! .

أبو على الفرمدى : هذا رجل يقدره أهل التوحيد . .

« يمضى الوزير إلى حجرة القاضى يستحثه فى ضرورة إصدار الحكم اليوم ، بناء على أوامر الخليفة والمجلس الطارئ المنعقد فيجيبه القاضى فى نبرة حادة »

القاضى أبو عمر « للوزير » : لن أصدر الحكم استناداً على براهين مشوشة وحجج داحضة . أنتم تريدون قتله لأسباب سياسية ، يا طالما حاربت هذا الرجل ، وحقت عليه ، وجعلته يمثل أمامك مكبلاً فى قيوده عدة مرات ، وحقت معه كثيراً حتى فى سجنه ، لكن محاولتك كانت تذهب أدراجاً ! إن كان الأمر سياسياً فأنا لن أمضى معكم فيما أنتم عازمون ، لأنى فقيه وعالم شرع فقط . .

« يدخل منصور ، ويدخل بعده عالمان . . ثم يدخل الوزير فيجلس يقلب فى كتب منصور ، ويخاطب القاضى أبا عمر . »

الوزير حامد للقاضى : هذا كتاب من كتب منصور العلاج ، اقرأه وناقشه فيما جاء فيه . .

« يأخذ القاضى الكتاب يقلب فيه ، ثم ينظر إلى منصور . »

منصور : نعم . . هذا الكتاب من تأليفى . .

الوزير حامد : اقرأ ما فيه يا أبا عمر ! ..

« يقرأ من الكتاب »

( إذا أراد أحدكم الحج ولم يكن فى وسعه الذهاب إلى مكة ،  
فليعمد إلى مكان نظيف فى بيته ، ويطوف حوله وقت الطواف ، فإذا رجع  
الحجيج من مكة قام بإطعام ثلاثين مسكينا من أواسط ما يطعم ،  
وكسوتهم ، ثم يمنح كل واحد منهم عشرة دراهم .. فإن فعل ذلك ،  
كانت له حجة .. )

« يقرأ الوزير هذا الكلام بصوت مرتفع ، بينما تظهر علامات الغضب  
على وجه القاضى أبى عمر ، الذى يبلغ به الضيق مبلغاً عظيماً فيصيح فى  
منصور . »

القاضى : منصور ! من أين لك هذا الكلام ؟ !

منصور : من كتاب للحسن البصرى ..

القاضى : أى كتاب للبصرى ؟ !

منصور : من كتاب « هبة الحقائق » ..

القاضى : كذبت ! يا حلال الدم ! . قرأنا هذا الكتاب فى مكة  
وفسره لنا عبد الله المرزوق ، فما وجدنا فيه شيئاً من هذا ! ..

منصور : .....

« يقاد منصور للخارج ، فيمضى يحجل فى قيوده ، ويعاد إلى سجنه

ويبقى المجلس منعقداً ، أكثر علمائه من الشيعة » .

الوزير حامد للقاضي : ما قد حكمت بكفره وإحلال دمه أمامنا يا  
أبا عمر ...

القاضي : قلت هذه الكلمة بلفظها ولم أقصد معناها أيها الوزير ! .

الوزير : أتحكم بكفره ثم تدافع عنه ؟ ! ..

القاضي : أنا لا أخضع لعاطفتي وإنما أخضع للشرع ..

الوزير : أنت تجنى على نفسك يا أبا عمر .....

القاضي : كيف أيها الوزير ؟ !

الوزير : بل وتعرضها للإهانة ..

القاضي : أعرضها للإهانة ! ..

الوزير : أجل .. لأنك شهدت الآن بكفره .. ومع ذلك لا تريد أن

تحكم بإعدامه ... إذن فأنت شريك له في هذا الجرم ...

القاضي : أولاً : أنا لم أحكم بكفره ... ثانياً : لا بد للفقهاء أن يدقق

في القياس ...

الوزير : فلتنطق بالحكم الآن ! ...

القاضي : فليكن قرار إعدامه على أساس متين من الشرع ...

» ينهضون جميعاً في ضيق ... ويشعرون بهزة في القاعة .. يسرع

الوزير مغادراً القاعة ليخبر الخليفة بأن القاضي قد حكم بإعدام منصور ،  
ويتشتر الخبر في أرجاء بغداد ، فتوقد المشاعل والقناديل ، ويطير الجنود  
والحراس من الطرب والنشوة «

بينما منصور في سجنه يناجي الله في ليلته الأخيرة مناجاة ضارعة  
تحملها الريح السواحة :

( اللهم إني أسألك أن ترحم الساعين في قتلى ..

اللهم اعف عنهم بحق ناسوتيتي التي أفنيتها في لاهوتيتك ..

اللهم لا تعذب من عذبنى ..

اللهم اغفر لهم وتب عليهم ..

اللهم جد على العصاة بهدايتك ، ورطب قلوبهم بمحبتك ..

اللهم كن لهم نوراً وفرحاً وسروراً ..

اللهم اجعل الدنيا جنة .. والكون عمرا .. )

« وبينما كان منصور مستغرقا في هذه المناجاة ، يدخل الخليفة ومعيته

فيسمعون دعاءه ... فيقفون في ذهول وخشوع أمامه ، ثم يتقدم الخليفة

ويقول له «

الخليفة المقتدر بالله : منصور ! لقد صدر الحكم الليلة بإعدامك ..

لكن العلماء لم يوقعوا عليه بعد ، ولم أصدق عليه أنا الآخر ،

قل يا منصور « هو الحق » نغير الحكم وننجيك ! ...

منصور : أعلم أن الشيعة وراء هذا الحكم ..



الخليفة : من نباك هذا يا منصور ؟ ..

منصور : أيها الخليفة ! . قلت لكم إننى أنتظر هذا الموعد وأشتاق إليه من طول زمان ، وكلامى لا يتغير ولا يتبدل .. أأطيع الخلق فى معصية الخالق ؟ !

الخليفة : يا منصور .. بدل كلامك خيراً لك ! ..

منصور : معاذ الله ! ..

الخليفة : أنت تقتل نفسك ! .

منصور : يا للعجب ! ..

الخليفة : سأمضى أنا إلى قصرى .. وأنت إلى مشنقتك ! ..

منصور : مصحوباً بالسلامة ، نجاك الله من الهلاك ..

الخليفة : أى هلاك ؟ ! عصيان الشعب ! .. فساد الأمة ! ..

ثورة العلماء والوزراء ! .. أم شر الجن والشياطين ! ..

منصور : سترى عاقبة قتلك للعاشقين وبالا .. ، طاعون ،

فساد ، وجهل ، ومرض ، واحتلال ، وفتن ..

الخليفة : دعك من هذا وفكر فى مصيرك ومصير أسرتك ..

منصور : أسرتى لها خالق يكفلها .. وقلبى ليس فيه متسع لغير

الله ..

« يعود الخليفة وسط صياح الديكة المنبعث من فوق المنازل ...

ويشعرون جميعاً كأن النجوم والملائكة وكل شئ ينشد « حق .. حق ..

أنا الحق » .

منصور : يارب .. لقد أفنيت ناسوتيتي في لا هويتك

فאלلهم ارحم من أراقوا دمي برحمتك ..

« ويستمر منصور في ترديد هذا الدعاء ، وتحمل الريح دعواته في كل مكان ، يجلس خمسة عشر رجلا في مقهى بسوق العطار يتحدثون في الحكم الذي صدر بإعدام منصور » .

شاب : « أنا الحق » كلمة صدق ! .

شيخ كبير : أجل .. فالعاشق يفنى في المعشوق ..

النادل : بل العاشق قربان للمعشوق ! ..

شاب أسمر : كان يحب سيدة في بلدته .. يقولون إنها فاتنة

الحسن ..

تاجر : هل كانت فاتنة حقا ؟ !

الشاب الأسمر : أنا ما رأيته قط .. لكنهم يقولون إنها حسناء ،

فتنت زوجها ، وابن والى تبريز ومفتى «البيضاء» ، ومنصورا ، وعليا

الحارس ، والجنيد ، والوزير حامد ، والخليفة المقتدر بالله نفسه ! ..

وكل من رآها عشقها ، لكنها تأبت عليهم جميعا لأن قلبها معلق بمنصور

فقط ...

النادل : إنها عاشقة لله .. ومنصور شيخها ..

الشيخ الكبير : نحن لا نعلم حقيقتها ، لأنه لا يعرف سر المرأة إلا

امرأة مثلها ..

النادل : هذا تحامل منك عليها أيها الشيخ ..

شيخ كبير آخر : ما سبب إعدام منصور ؟ ! هو رجل طيب كامل .. وعارف من الواصلين ، ورع زاهد ، يصلى ويصوم ويقرأ القرآن ويحج بيت الله ... لا يمكن أن يكون السبب دينيا ... كل ما فى الأمر هو خشية السلطة على نفسها من سلطانه بين الناس ، وتأثيره البالغ فى نفوس الخاصة والعامة .. فتخلصوا منه كى لا يؤرقهم ..

الشاب الأول : حقا .. السبب الحقيقى هو أن منصوراً كان له أتباع ومريدون من شتى الطبقات ، والناس كما تعلم يكرهون السلطة ، والسلطة دائما تحقد على من يلتف حوله الشعب ..

مدرس : مهما كان الأمر .. فالقتل لا ينهى حياة منصور ، سيموت جسمه فقط ، أما اسمه فهو باق على كر الدهور ، وتلك كتبه رغم كل شىء باقية يقرأها الناس بشوق بالغ .. وهل الخلود إلا أن تذكر بالخير بعد موتك ! .

الشاب الأسمر : أنا أعرف « باب التقى » الذى سيعدم فيه منصور ، فهيا نذهب لنرى ..

« يخرجون جميعاً على أصوات مظاهرة يمشى فيها خلق كثير ، وهم يرددون « أنا الحق » ثم تهب عليهم ريح عطرة فيها أصوات دعوات منصور ... فيقفون جميعاً يسمعون فى خوف » .

( يارب .. هؤلاء عبادك قد اجتمعوا لقتلى ، غيرة على دينك ..

فاللهم أعف عنهم واغفر لهم ولا تحرمهم هداك ورحمتك .. يارب ..  
تب على العصاة والمذنبين الغافلين ) .

« تمضى الشرطة بمنصور ومعهم الجلادون » .

جمال : كان رجلا يخرج النقود من الهواء ، ويفتح الأبواب  
المغلقة ، ويحيط بخفايا علم الحروف ..

المدرس : اسكت .. وكفى حماقة .. واسمع لتلك الريح ..  
واعلم أن منصورا مستجاب الدعوة ، وقطرة من فيضه ، تغرقنا جميعا ،  
ولو أراد ، لامتلك خزائن السموات والأرض ... لكن اسمع لتلك  
الريح ... بهذا جرى القلم ... غدا الثلاثاء الموافق الرابع والعشرين من  
ذى القعدة فى باب التقى سيقدم الحسين بن منصور الحلاج روحه قربانا  
للحبيب وهو غاية الرضا والسعادة ... فيا للقدر ..

رجل مجهول : يقولون إن سبب قتله هم جباة الخراج من أهل  
السنة .

حارس : لقد حلت عليه لعنات ثلاث : لعنة رسول الله ، ولعنة  
المكى ، ولعنة الجنيد ..

المدرس : منصور فوق كل ما قلت .. منصور وصل إلى مأموله  
فقولوا ما شئتم .

النادل : كان يقول « أنا الحق »

الشيخ الكبير : هذه كلمة لا نستطيع نحن تأويلها ..

رجل غريب : « أنا الحق » كلمة صدق . . .

المدرس : أجل كلمة صدق . . ومن قالها صار بالحق حقا .

« يوم الثلاثاء الرابع والعشرون من ذى القعدة . . . بعد صلاة العصر ،  
يقاد منصور فى أغلاله إلى ميدان السياسة ، وحوله الشرطة والجلادون ،  
وجموع لا تحصى من عامة الناس . . كلهم ينظرون إليه فى حزن ، وإذا  
بجلفدان تشق الصفوف وتخر أمامه راکعة تقبل سلاسله وقيوده وهى تبكى  
وتضرب رأسها فى الأرض » .

جلفدان : سألراك عند الحبيب يا منصور . . .

وسأحيا بالإيمان والأمل . . سأحيا بالإيمان والأمل . . .

« وتسقط على الأرض ، فينصرف الناس ، ولا يبقى إلا الشرطة  
وجلفدان . . فينشد منصور » .

المناجاة الأخيرة : بالإيمان وبالأمل يولد يوم جديد . . .

وفى السماء نور لا يغيب . .

هى سيدة أدركت الخلود . . .

بنور القلب والجمال الفريد . . .

هى سيدة خالدة . . هى سيدة خالدة . .

وفى طريق الدم . . وردة ضاحكة . .

هى لحن بجمال الروح والصورة . .

هى قطرة فى الفجر . . الأرض لها منتظرة . .

طرنا إلى السماء سرين

خائفين مرتعشين

فحلقت الشعلة الأبدية في السماء

لها من دعاء هذه السيدة حذاء . .

« تنظر جلفدان مرة أخرى إلى منصور قبل أن يشنق ، فيقول لها منصور » .

منصور : الآن يتحفنى ربى بالكمال ، وسيكتمل الكل الآن ، وسأبلغ الخلود المنشود ، وأصبح بالحق «حقاً» وتنشد كل ذرة فى وجودى «أنا الحق» .

جلفدان : ما معنى كلامك ؟ .

منصور : أجل . . . الآن سيرجموننى ، ويقطعون يدى ورجلى من خلاف ، ويسملون عيني ، وسوف أتوضأ بدمى حين يسيل ، وسأقرأ على الناس كتاب العشق من فوق الأعواد . . وسيمزق جسمى إربا إربا ، وستنشد ذراتى « أنا الحق » ثم يحرقوننى بالنار ، ويطير رمادى فى السماء وهو يردد « أنا الحق » ثم يهبط فى دجلة ، فيثور ماؤه ، فخذى خسرقتى يا جلفدان ، وضعيها فوق ماء دجلة فيغيض . . حتى لا تغرق بغداد ويهلك الناس . . فلا أريد أن أكون سبباً فى أقل ضرر يصيب هذه البلاد .

وأوصيكم بترديد قولى . . .

« تمضى جلفدان ويرفع منصور فوق الأعواد ، ويجتمع الناس يرمونه بالأحجار .. كان الشبلى من بين الراجمين ، فأخذ وردة وقذفه بها » .

الشبلى : حبيبى ! .. أو لم تنهك عن العالمين ..

منصور : يا شبلى أنت لم تبلغ هذا المقام بعد .. آه يا شبلى !  
لقد أوجعتنى بوردتك وجعا لم أشعر به وأنا أجلد وأعذب وأرجم !

الشبلى : كيف والناس يرمونك يا منصور ؟ !

منصور : يا شبلى .. هؤلاء من العوام ، لا يعرفون شيئا ، وأنى أسأل الله أن يغفر لهم .. أما أنت فتعرف حقيقة أمرى ! لقد قطعت أملى يا شبلى فى آخر لحظة من عمرى فى وجود إنسانية بين الناس .. فىا أسفا .. سأرحل عن الدنيا مقطوع الأمل فى الإنسانية ! ..

« يجهز الجلادون المشنقة ، بينا تقف جلفدان والشبلى والجنيد ، وعدد من أهل بلدة منصور وعبد الله بن خفيف ، وأبو الوفا .. ينظرون إليه والحسرة تمزق نياط قلوبهم يودون جميعا لو ذاقو الموت قبل تنفيذ الحكم فيه .. لكنهم يرون نوراً يخرج منه فيملاً جهات السماء كلها .. وإذا بصوت يهز الساحة .. » .

### صوت من السماء

تخلصت يا منصور من دار الظلم والآلام

فقل « أنا الحق » وادخل الجنة بسلام !

### ستار

## تذييل

فى سنة ١٩٤٤ أصدر الشاعر التركى «صالح زكى أقطاي»<sup>(١)</sup> ، مسرحية فى خمسة فصول ، بعنوان « مأساة منصور الحلاج » ، اجتهد الشاعر أن ينظمها كلها شعراً ، لكنه أخفق ، لشدة تمسكه بالأحداث التاريخية واضطراره إلى التضمين من كلام الحلاج المنشور ، فغلب الشر على الفصلين الأخيرين منها . ويمكن تلخيص مسرحية «أقطاي» بإيجاز على ذلك النحو .

« فى وقت السحر ، وفى موضع يقال له البيضاء بتبريز - يجلس الحسين بن منصور الحلاج ، ناحل الجسم ، فى ملامحه شحوب التأمل والسهر ، مع « جلفدان » سيدة شابة ، أشهى ما تكون حسناً وجمالاً .. يخوض منصور فى حديث شائق رائق عن تجلى جمال كمال الله فى مخلوقاته حتى يكاد يهتف من طربه : « ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله فى قلبه » فمس كلامه شغاف قلب جلفدان ، فأضحت له مريدة من أتباعه ، هامت على وجهها فى الأرض شوقاً للوصول مع شيخها ، لكن الشرطة

(١) ولد صالح زكى أقطاي فى شرقيقرة اغاج ، من أعمال اسبرطة سنة ١٨٩٦ ، واشتغل بالتدريس فى كثير من مدارس إستانبول ، وتوفى فى ٢٢ مارس سنة ١٩٧١ .. كان صالح زكى ينشر شعره فى عديد من المجلات ، منها «الوطن التركى» ، «المجلة الجديدة» ، «اجتهاد» ، ويؤثر دائماً غرض الهجاء ، كما كان يستلهم فلسفة اليونان وأساطيرها فى شعره . وكان يعتمد على الألفاظ ذات الجرس الموسيقى المتناغم . ومن أهم نواوينه : « أغانى أسيا Asyasarkilari والينبوع Piner والريح Ruzgar » .

Surkan Kurdakul : Cagdas Türk Edebiyatı, İstanbul, May Yayinlari, 1976, S. 218.



تقبض عليهما وتسلمهما للمفتى ، فيمسك منصورا ، ويرسل جلفدان إلى بيتها مع زوجها وولدها بعد توبيخها وتحذيرها . . . وفي البيت ، يحاول الزوج جاهداً أن يثنىها عن هذا الطريق الشائك الذى تمضى فيه ، لكنها جعلت كلامه دبر أذنيها ، وما راعها بكاء ولدها الذى لم يجاوز الخامسة من عمره وعقدت العزم على أن تخرج فى سياحة إلى الله ، لكى تصل فى النهاية إلى الله ، كما وعدت عن شيخها ، وقبل الفجر نفذت ما بيتت النية عليه .

فلما حار المفتى فى أمر منصور ، أسلمه للوزير حامد بن العباس ، الذى استبقاه عنده مدة من الزمن ، ليقف على حقيقة أمره . وبعد حين من الزمن ألقت الشرطة القبض على جلفدان ، ومثلت أمام الوزير حامد؛ ليستجوبها فلما رآها ، وقعت فى قلبه موقعاً حسناً ، فجعل يسترضيها ، ويساومها فى أمر الزواج ، تارة بالتهديد والوعيد ، وأخرى بالإغراء بالمال والسلطان . لكنها أبت أن تبلغه ما أراد ، وراحت تسخر من سطحيته وطمعه ، فشق ذلك على الوزير ، وظن أن ما يمنعها هو حبها لمنصور الحلاج ، فاعتبره غريباً له فى حب جلفدان ، وحقد عليه حقداً عظيماً وسعى لدى الخليفة العباسى المقتدر بالله ، ليحرضه على سفك دم منصور متهما إياه بالسحر والشعوذة والإلحاد وإثارة الفتن والقلاقل .

كما سعى لدى شيخ الإسلام ليستصدر منه فتوى تجعله حلال الدم . لكن الخليفة تردد فى البت فى قضية منصور ، إلا بعد أن يجد له من الخطر ما يبيح قتله ، خشية أن يحمل دمه فى رقبته ، فطلبه وعقد له

العديد من المجالس والمناظرات التي حضرها علماء وفقهاء ووزراء وشيوخ  
طريقة ، لكنهم حاموا وماوردوا ، ولم يصلوا إلى كلمة سواء بينهم ،  
لاختلاف الآراء بين مؤيد ومعارض .

ويحبس منصور في حجرة بقصر الخليفة ، فكان يسمح للناس بزيارته  
والدخول عليه ، وما أن يراهم تحلقوا حوله يخوض في حديث الوجد  
والشوق ، ويظهر لهم من الكرامات ما يبهرهم ، فأغوى بذلك خلقاً كثيراً  
من أهل الخليفة وغيرهم . وكان الناس يخرجون من عنده يهتفون :  
« منصور حق . . منصور حق » فرأى الخليفة درءاً للفتنة أن يزج به في  
سجن بغداد ، فمكث فيه مدة من الزمن .

ثم قدم إلى المحاكمة الأخيرة التي كان يرأس جلساتها القاضي «أبو  
عمر الحمادي» ، ويحضرها معه الوزير حامد والجنييد والمكي والخليفة أحياناً ،  
ونفر من العلماء وأهل الرأي . ويلاحظ القاضي من خلال الجلسات حقد  
الوزير الشديد على منصور ، ومكر المكي والجنييد به فيشور في قاعة  
المحاكمة ، ويطلب عدم تدخل أحد منهم في المحاكمة ، تحرياً للعدل ،  
فيهدده الوزير ، وينذره بالهلاك ، فلا يبالي القاضي بتهديده ، ويرد عليه  
في ثقة وأنفة : « قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا » . « فأيقن الوزير أنه  
لا بد أن يجرب معه سلاحاً آخر ، وراح يغريه بالمال والجاه ، اللذين تتبخر  
أمامهما المبادئ . لكن القاضي كان عفواً قنوعاً ، فردّه خائباً ، وأخبر  
الخليفة بما كان ، فزاده بذلك تردداً وتوجساً . . ويقع القاضي ضحية  
للصراع النفسي ، نظراً لما يتعرض له من ضغوط من قبل الدولة ، التي

تستحثه فى إصدار الحكم بقتله ، وما يعانى من عذاب الضمير ، فالأدلة غير كافية ، يغلب عليها التخليط والدس ، فكيف يحكم فى هذه القضية ؟ لم يجد القاضى مخلصاً له من هذا العذاب إلا أن يقدم استقالته ، معلناً عجزه فى القياس والاجتهاد ، لكن الجنيد يشبه عن هذه الفكرة ، خاصة بعد أن جاءت فتوى شيخ الإسلام بإحلال دم الحلاج ، ثم راح الوزير يبالغ فى تهديده للقاضى ، واتهامه بالتواطؤ مع الحلاج ضد الدولة ، وأنه يسير فى طريق مسدودة ، يقدم فى نهايتها دمه .

وعقدت الجلسة الأخيرة ، وفيها قرأ الوزير على الأعضاء فقرة من كتاب للحلاج ، تقول بإسقاط فريضة الحج . فسأل القاضى الحلاج عن صحة نسبة هذا الكتاب إليه . فصدق منصور هذا الكلام مما أثار القاضى وأغضبه ، فقال لمنصور : كذبت بإحلال الدم ! فانتهزها الوزير فرصة ، واستكتب القاضى الحكم ، فدفعه القاضى ، بحجة أنه قال هذه الكلمة وهو غضبان ، ولا يحكم القاضى فى ساعة غضب ، فهب الوزير ومن فى المجلس فى وجهه فاضطر إلى توقيع الحكم .

وأذاعت الدولة الخبر ، فثار الناس من أجله ، وخرجوا فى مظاهرة يهتفون : « حق .. حق .. منصور حق .. ! » لكن الدولة أسرع فى تنفيذ الحكم ، فقطع من خلاف ، وتوضأ بدمه وضوء الأنبياء ، وسط ذهول الناس . فلما قتل ، هز الساحة صوت من السماء :

تخلصت يا منصور من دار الظلم والآلام

فقل « أنا الحق » وادخل اللجنة بسلام

وبعد عشرين عاماً أى فى سنة ١٩٦٤ ، أصدر صلاح عبد الصبور «مأساة الحلاج » التى كتبها فى ظل ظروف سياسية واجتماعية معينة ، تختلف دون شك عن الظروف السياسية والاجتماعية التى كانت تمر بها تركيا حين كتب أقطاي مسرحيته عن الحلاج . هذا فضلاً عن الاختلاف الكبير بين ثقافة الشاعرين ؛ لهذا كان من المتوقع أن يختلفا فى كثير من الموضوعات ، ويتفقا فى بعضها الآخر ، اختلافًا أو اتفاقًا يغرى بالمقارنة بينهما . فالشخصية واحدة والكتب التى قرأها الشاعران عنها - ظنا - تكاد تكون واحدة ، لكن المعالجة تختلف نظرا لاختلاف ثقافة الشاعرين الخاصة ، واختلاف التكوين النفسى ، والجو العام فى بيئة الشاعرين . ونحن نلتمس للمقارنة وجهين :

( أ ) الصديق التاريخى . ( ب ) المعالجة الموضوعية .

### أولاً : الصديق التاريخى :

من الملاحظ أن الشاعرين يختلفان اختلافاً كبيراً ، من حيث ارتباطهما بالأحداث التاريخية التى جاءت فى كتب التاريخ والطبقات ولا حرج على الشاعر أو الأديب فى أن يتحلل من أخبار التاريخ ، وصولاً إلى هدف أو مغزى يريد بلوغه . لكن من حق الباحث أن يبحث فى درجة صدق العمل الفنى مع حقائق التاريخ ، مادامت الشخصية تاريخية ، خاصة إذا وجد فى الموضوع أكثر من عمل فنى واحد . . . . ومثل هذا

البحث لا يكون عبثاً ، لأنه يظهر لبقه الشاعر أو الأديب فى التعامل مع التاريخ ، وتطويع أحداثه لمذهبه فى الأدب . وهو لهذا قد يستغنى عن بعض أحداث التاريخ ، أو يخلق أحداثاً لم تقع ، وشخصاً لم توجد ، حتى يخرج عمله فى الصورة التى يريد .

والواضح أن أقطاي كان أكثر تمسكاً بالأحداث التاريخية من صلاح عبد الصبور فى كثير من المواضع . ويمكن توضيح ذلك فى النقاط التالية :

(١) عدد المحاكمات والقضاة :

اقتصرت صلاح عبد الصبور على المحاكمة الأخيرة فقط ، بينما أورد أقطاي عدداً من المحاكمات ، فأوقف الحلاج أمام المفتى ، وأمام الوزير ، وأمام الخليفة ، وشيخ الإسلام ، والقاضى . وهذا أقرب إلى ما جاء فى كتب التاريخ ، لكنه أغفل وقوف الحلاج بين يدي الوزير «على بن عيسى» فى المحاكمة الأولى ، والتى خلع الوزير بعدها لضعفه أمام الحلاج .

كما ذكر عبد الصبور ثلاثة من القضاة ، هم « أبو عمر الحمادى » الفقيه المالكى ، و « ابن سليمان » الفقيه الحنفى ، و « ابن سريج » الفقيه الشافعى ، فى حين أن الفقيه الحنفى الذى حضر هذه المحاكمة لم يكن اسمه « ابن سليمان » وإنما كان اسمه « أبو الحسين الأشنانى » ، فضلاً عن أن « ابن سريج » الفقيه الشافعى لم يحضر هذه المحاكمة لاعتذار فقهاء الشافعية عن حضورها ، كما جاء فى جميع المصادر التاريخية<sup>(١)</sup> أما أقطاي فلم يذكر من الفقهاء إلا القاضى « أبو عمر الحمادى » اعتماداً على أنه كان كبير القضاة وعليه وقعت تبعة الحكم .

(١) البغدادى . تاريخ بغداد ، ج ٨ ، ص ١٢٨ .

والغريب فى الأمر أن صلاح عبد الصبور ذكر فى تذليل مسرحيته أنه يعلم أن ابن سريج لم يحضر هذه الجلسات ، لأنه توفى سنة ٣٠٦ هـ ، أى قبل المحاكمة الأخيرة ، ومع ذلك جعله أحد قضااتها . وهى معارضة لحقائق التاريخ ليس لها ما يبررها<sup>(١)</sup> .

#### (ب) الشهود :

لم يذكر عبد الصبور من الشهود إلا الشبلى صديق الحلاج ، انطلاقاً من فكرة أن هيئة المحكمة ممثلة فى الحمادى كبير قضااتها ، قد رتبت الأمر مع السلطة على التخلص من الحلاج بسفك دمه ، وفضلاً عما فى ذلك من خروج على حقائق التاريخ ، فإنه فى رأى مأخذ فنى على المسرحية ، لأنه جعلها تفتقر إلى عنصر الصراع ، والأخذ والرد بين الشهود ، وتضارب الآراء ، الأمر الذى تولدت عنه حيرة الخليفة ، وتوجس القاضى من إصدار الحكم ، خشية غضب الله . . . . . وما كان على صلاح من حرج لو فعل ذلك ، لأنه ما كان سيتعد كثيراً عن حقائق التاريخ ، بل كان سيخدم الفكرة الرئيسية فى مسرحيته ، التى تجعل الحلاج بطلاً شعبياً شغل أهل زمانه جميعاً ، سواء فى ذلك رجال السياسة والعلماء والعامة .

أما أقطاي ، فقاعة المحكمة عنده تزدهم بالشهود الذين تتفاوت ثقافتهم ، ومكانتهم الاجتماعية ، فهم بين درويش ، وفقه ، وعالم ،

(٢) مصطفى عبد اللطيف السحرتى دراسات نقدية فى الأدب المعاصر ، الهيئة المصرية

العامة للكتاب ، ١٩٧٩ ، ص ٢٢٢

وشاعر وكاتب ، ووزير ، وحاجب ، وسجان ، وحارس وجندى ، وكثير من العوام بين رجال ونساء ، فكانت المحاكمة شعبية إلى حد كبير ، فخلق بذلك جواً مناسباً للصراع الفكرى واختلاف الآراء حول الحلّاج .

ويؤخذ على أقطاي أنه اختلق شهوداً لم يرد لهم ذكر فى قضية الحلّاج ، كالمفتى مصيب أفندى ، وذى النور الدمشقى ، والشيخ عز الدين الحمدانى ، وعياض البخارى ، وفصيحى ، ودهرى البغدادى ، والشيخ أبى الوفا ، وأبى سعيد الخراز ، وأبى القاسم التسترى ، وأبى على الفرماوى ، وأبى الخير النساج . ومن العجيب أنه مع إسرافه فى إيراد شهود لم تكن لهم شهادة فى المحاكمات ، أغفل شهادتين هامتين

**الأولى :** شهادة ابن عطاء صديق الحلّاج الذى لقى حتفه بسببها لجرأته على الوزير حامد فى كلامه ، إذ قال له حين سأله عن صحة اعتقاد الحلّاج : « هذا اعتقاد صحيح » ومن لا يعتقد هذا فهو بلا اعتقاد . مالكٌ ولهذا ، عليك بما نصبت له من أخذ أموال الناس ، وظلمهم ، وقتلهم مالكٌ وللكلام هؤلاء السادة ... فأمر الوزير بأن يضرب بخفه على فكيه حتى سال الدم من منخريه ، وحمل إلى بيته مغشياً عليه ، وظل فى فراشه أسبوعاً حتى جاءه الأجل<sup>(١)</sup> .

(١) البغدادى ، ص ١٢٨ .

**والثانية : شهادة بنت السمرى التى زوجها الحلاج لأحد ولديه ، والتى**

ادعت أمام المحكمة أن الحلاج تفشأها وهى نائمة ، فلما

أحست به فزعت ، فقال لها ، جئت أوقظك للصلاة . ثم

ادعت أنه أمرها بالسجود له ، فقالت : وهل يُسجد لبشر ؟ !

فقال : إله فى السماء ، وإله فى الأرض ! .. ولعل أقطاي لم يشأ

أن يذكر هذه الشهادة لوضوح الكذب والافتراء فيها .

**( ج ) الخليفة العباسى المقتدر بالله :**

لم يرد له ذكر عند صلاح عبد الصبور ، رغم كثرة حديثه عن الدولة ،

وفساد الحكم . أما زكى أقطاي فقد رسم له صورة تتفق مع ما جاء فى

الروايات التاريخية ، فهو حين علم بخبر الحلاج طلب مثوله أمامه ،

وأغلق له القول فى سؤاله ، فكان من كلامه :

علمنا يا هذا أنك تلقى الناس فى المساجد

وتلغوا فى كلامك وتقول : أنا الله الواحد

فأثرت الفتنة ، لا فى بغداد وحدها

بل عمت بلاد الإسلام ، واستعر أوارها

أولى أنت ... أم نبي .. أم إله .. أم عبد ذليل ؟ !

أم عاطل ، شريد ، طريد ، ضليل ؟ !

أعاشق أنت .. أم مجنون .. أم عارف من الواصلين ؟ !

أم أنت من العصاة الفاسدين الفاسقين ؟ !



كيف يحل الله في بشر فان ؟ !

وكيف يعلو العبد ، فوق الزمان والمكان ؟ !

لكنه رأى في كلام منصور ما جعله يتردد في البت في أمره ، فلم ير عليه سوءاً في قول ولا فعل ، اللهم إلا قول « أنا الحق » . . فاستفتى فيها كثيراً من العلماء والشيوخ ، فكانوا بين مؤيد ومعارض ، مما زاد في حيرته . ولم ير أمامه سبيلاً إلا النصيح للحلاج بأن يتخلى عن هذه الكلمة ، فتبرأ ساحتها :

لو قلت يا منصور « هو الحق » غفرنا لك ،

وأطلقنا سراحك ، وسامحناك . .

فاطرح هذا الوهم ، ولا تخالف عقيدة العوام ،

وسر في طريق الأمر بالمعروف والسلام

لكن الحلاج لم يزدجر ، فظل الخليفة حائراً بين تحريض وزيره له على قتله ، وبين ما يراه من كراماته ، فكيف يحكم بالقتل في بساطة وسهولة على رجل يخرج من سجن أبوابه من حديد ، وعليه حراس غلاظ شداد ، دون أن يراه أحد ، ثم يعود إلى السجن ليجدوه ولا يجدوا السجن بمن فيه ؟ ! ثم راح يفكر في إطلاق سراح الحلاج ، لكن وزيره ألح عليه ، وجسم له خطره ، حتى جعله يضطر في النهاية إلى توقيع الحكم ، وهو مضطر متردد ، وآية ذلك أنه بعد التوقيع ذهب إلى الحلاج ليلة قتله ورجاه أن يرجع عن قوله ، لكنه صده ورده ، فقفل راجعاً :

الخليفة ← يا منصور ! بدل كلامك خيراً لك .

منصور ← معاذ الله !

الخليفة ← أنا ذاهب . . أنت تقتل نفسك !

منصور ← ياللعجب !

الخليفة ← سأمضى أنا إلى قصرى وأنت إلى مشنقتك . .

منصور ← مصحوباً بالسلامة . . نجاك الله من الهلاك . .

الخليفة ← أى هلاك ؟ عصيان الشعب ، فساد الأمة ! ثورة العلماء ،

والوزراء . . أم شر الجن والشياطين ؟

منصور ← أدعو أن يتلى الله هذه الأمة الظالمة الكافرة ، بالمرض

والجهل والاضطراب ، والفساد والفتنة .

الخليفة ← دعك من هذا وفكر فى مصيرك ومصير أسرتك . .

منصور ← أسرتى لها خالق يكفلها ، وهو يعلم سريرتى . .

( د ) الوزير حامد بن العباس :

بالرغم من أن الوزير حامد بن العباس كان له الدور الأكبر فى قتل

الحلاج فإن صلاح عبد الصبور أغفله تماماً ، مع أنه صورة مجسدة لفساد

الحكم فى تلك الفترة .

ولست أدرى ، لماذا لم يستفد صلاح من الصورة الفاضحة التى

رسمها ماسينيون للوزير حامد فى مقاله « المنحنى الشخصى فى حياة

الحلاج » . كما استفاد منه فى رسم صورة القاضى الحمادى ؟ !

ولعله اكتفى بأن أظهر صوت السلطة من خلال الشرطين المدسوسين بين  
الناس في المسجد ، ومن خلال الحاشية التي أرسلها الوزير إلى هيئة  
المحكمة .

أما زكى أقطاي فقد استفاد من كل ذلك ، بل بالغ في وصم الوزير  
بالفساد ، فجعل الدافع الذي حركه لقتل الحلاج ، دافعاً شهوانياً رخيصاً ؛ لأنه  
حين رأى جلفدان ، المريدة العاشقة ، تعلق قلبه بها ، وشغفته حباً ،  
فساومها ، وراودها ، فأعرضت عنه ، فتوهم أنها تعشق الحلاج ،  
فراح يعدها ويتوعدّها :

ويلك قد أضلك ذلك الساحر !  
وغرك بكلامه الفاجر .... !  
حذار أن تمضى معه  
ودعه يلقى مصرعه  
ولك كل ما عندي من خزائن وغلمان  
وتصبحين ملكة بغداد ، يا خير الحسان

فلم يجد سبيلاً أمامه لكي يتخلص من غريمه إلا أن يسعى في  
قتله ، كي يقنص صيده ، فيأخذها من زوجها وطفلها خالصة له ، وراح  
يسعى لدى الخليفة ، وشيخ الإسلام ، والقاضي ، واتخذ من الدين ،  
وسيلة لبلوغ غايته الدنيئة ، فأبدى غيرته على الدين وخشيته على أمن  
الدولة واستقرارها ، فاتهم الحلاج بالزندقة والشعوذة ، ودعا إلى تخليص

الناس من شروره وفتنه ، وراح ينتظر تنفيذ العقوبة فى الحلاج على أحر من جمر الغضا .

منصور ← لكل شىء نهاية إلا العشق ، فلا نهاية له ؛  
لأن خلود المعشوق يمنح العاشق الخلود .

الوزير حامد ← عنادك يقودك إلى النار .

منصور ← النار ! أنا فى سماء العشق السابعة أركض فى أودية  
النار ورياض السعير .. ويجمعنى والعنقاء عش  
واحد .

الوزير حامد ← أجل ! .. لقد رآك الناس أمس تركض هناك !

منصور ← الصورة تتلاشى عند الوصول .. غدا سأكون  
هناك ، وسأصبح أنا والمعشوق شيئا واحدا ..

الوزير حامد ← أنت واهم ومجنون .

منصور ← أجل .. أجل .. أنا فى وهم وبطلان مادمت فى الدنيا .

الوزير حامد ← نعم .. لتعلقك بهذه الأباطيل ، وصلتك بالجن وممارسة  
السحر .

منصور ← نظرت أمس فى النجوم ، وقرأت كتاب التنجيم ،  
واستخرت الله ، فرأيتنى بلغت مقام الوصول ..

الوزير حامد ← ونحن ننتظر صدق النبوءة !

ومبالغة أقطاي في وصم الوزير بالفساد الخلقى - على أنه ممثل للسلطة - أكثر اتفاقاً مع التاريخ ، وقبولاً في النفس ، من وصم عبد الصبور للقاضيين الشرعيين بهذه الصفة ؛ لأن نفس المشاهد تكون رغبة في التشفى من السلطة وإدانتها على اعتبار أنها الخصم الأول للحلاج .

#### ( هـ ) القاضي الحمادى :

لم أجد في كتب التاريخ والطبقات التي تعرضت لقضية الحلاج ، مايشين نزاهة القاضي أبى عمر الحمادى ، بل تتفق جميعها على أن الحمادى تراجع في توقيع الحكم ، واضطر إلى ذلك اضطراراً تحت ضغط الوزير حامد . ولهذا فإنى أعجب من هذه الصورة الشائنة التي رسمها له ماسينيون وأخذها عنه صلاح عبد الصبور ، فأجاد تصويرها . قال ماسينيون في صفة القاضي الحمادى : « رجل طموح صبور ، أنيق أدب ، وصل في هذا الانقلاب إلى مركز قاضى القضاة ، منتهى آماله ، افتن في الملق حتى بلغ الغاية ، وبرع في المجاملة إلى حد يصل نطاق الأسطورة ، شديد الولع بالعطور ، قادر على أن يتحلل من أحكامه السابقة ببساطة تثير الحيرة ، قد استعاض عن نقص أدلته في مذهب مالك من حيث الحديث والقياس ، باهتمام دقيق بصياغة المسائل الفقهية ، ولا بد أن يكون قد امتلأ فخاراً بكونه قد استطاع أخيراً النجاح في إنهاء قضية مثل هذه في الصعوبة ، بحل بارع كهذا في سبيل الصالح العام .

وهو بهذا إنما يخدم انتقام ذوى المكانة الحريصين على مراتبهم<sup>(١)</sup> فرسم  
عبد الصبور صورة مطابقة لهذه الأوصاف تماماً فى سياق من الكوميديا  
الساخرة :

أبو عمر ← هذا رجل دفع السلطان به فى أيدينا

موسوماً بالعصيان

وعلينا أن نتخير للمعصية جزاء عدلاً

فإذا كانت تستوجب تعزيره .

ابن سليمان ← عزرناه .

أبو عمر ← وإذا كانت تستوجب تخليده

فى محبس باب خراسان .

ابن سليمان ← أهلكناه . . . . .

أبو عمر ← لا ليس بأيدينا ، إذ نحن قضاة لا جلادون

ما نصنعه أن نجدل مشنقة من أحكام الشرع

والسياف يشد الحبل .

ابن سليمان ← هذا تعبير رائع .

لكن لا يستغرب أن يصدر عن سيدنا الحمادى .

(١) عبد الرحمن بدوى شخصيات قلقة فى الإسلام ص ٨٠ .

أبو عمر ← عفوا . عفوا يا بن سليمان

إطراؤك يخجلني ، ويذكرني ،

أن الله يوفقني

دوما للتعبير الرائع

أحكى لك قصة :

بالأمس لقيت صديقي القاضي الهروي

وهو كما تعلم ،

رجل مغرور بقريحته وذكائه

فسأله :

« ما أجدي ما يطعن من طعن عن الطعن »

فاحتار ولم يفهم

.....

لم يعرف قاضينا المغرور بعقله

معنى تعبيرى الرائع

فحككت له أنفى . ثم مضيت<sup>(١)</sup> .

(١) صلاح عبد الصبور : مناساة العلاج ، بيروت ، منشورات اقرأ ، ص ٨٢ ، ٨٥ .

إن المؤلف قد أسرف في تصوير شخصيتي أبي عمر وابن سليمان على هذا النحو من الانحراف البين عن جادة الشرع والحق والخضوع المهين لإرادة السلطان ، حتى أصبحا شخصيتين نمطيتين للانتهازية والفساد . فليس من المعقول ولا المقبول من قاض كبير أن يعلن انحرافه بلا حياء على هذا النحو أمام قاض كبير آخر ، دون أن يحاول أن يتلطف للوصول إلى غايته أو يخفى ما في نفسه من باطل حتى يبدو أمام صاحبه بمظهر الحق . وليس من المعقول ولا المقبول أيضا أن يكون القاضى الثانى إمعة على هذه الصورة التى رسمها له المؤلف ، لا عمل له فى المحاكمة إلا أن يتم حديثا بداه أبو عمر أو يردد قوله كالبيغاء أو ينافقه ظاهراً بلا حياء<sup>(١)</sup> .

ثم ها هو ذا القاضى الحمادى صنيعة السلطة الغاشمة الظالمة ، قد باع الدين فى خدمة ذوى التيجان والسلطان :

أبو عمر ← هذا أمر لا يسكت عنه

هذا الشيخ يقول :

الإنسان شقى فى مملكة الله

معنى هذا أن الأمة تشقى فى ظل خلافة مولانا .

ويقول :

إن الفقر يعربد فى الطرقات

(١) د . عبد القادر القط من فنون الأدب - المسرحية ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٨ ص ٥٩



معنى هذا أن الأمة لا تجد الأقوات

ولنسأل عندئذ من سلب الأقوات

**ويقول :**

برتاج ذهبى

يعنى الأمراء وأهل الجاه .

وتؤدى هذى الألفاظ المشتبهة

بالقراء إلى نبذ الطاعة

ولزوم الفتنة

ولهذا أحكم مرتاحا بإدانته وعقابه<sup>(١)</sup> .

. أما صورة القاضى الحمادى عند زكى أقطاى فهى تتفق مع ما جاء فى

كتب التاريخ ، وتختلف اختلافاً كبيراً عن صورته عند صلاح عبد الصبور

فهو رجل نزيه يتحرى العدل ، ويثور من أجله ، فلما أحس من الوزير

كيداً للحلاج ، أمر بطرده من ساحة المحكمة ، هو والجنيد والمكى ، مع

كونهما من شيوخ التصوف يومئذ :

الوزير حامد ← لقد أخذت القضية وضعاً خطيراً لهروب منصور من

سجنه مدة يومين ، فحرض بذلك العامة على التمرد

والعصيان . . . وها هو ذا أمس قد سحر الخليفة

بكلامه ، حتى جعله يعدل عن رأيه فيه ، وأصبح

البلد مهدداً بخطر عظيم .

(١) صلاح عبد الصبور مأساة الحلاج ، ص ٨٢ ، ٨٥

القاضى ← أنا المسئول عن الحكم أيها الوزير ، ويجب أن  
لا أخضع لأى تأثير . . وفى ظنى أن كرمات منصور  
هى التى جعلت الخليفة يعدل عن رأيه فيه . .

الوزير حامد ← أتريد أن تسمى السحر كرامة ؟ !

القاضى ← أيا كان الأمر ، فليس هناك الآن ما يكفى لإصدار  
الحكم ، وهو لم يعترف بعد ، ولا يمكن أن نبني  
الحكم على تأويل وتخريق !

فلما ادخل الشهود قال القاضى للوزير والمكى والجنيد :

القاضى ← أرجو أن يتفضل الوزير والسادة الحضور فى  
الحجرة المجاورة ، حتى أفرغ من استجواب  
الشهود .

الوزير ← فليكن فيما بعد أيها القاضى .

القاضى ← كلا . . فلكى تبرأ ساحة العدل لابد أن أستجوب  
الشهود بمفردى فلا يزاحمنى أحد فى عملى . .

الوزير ← اعلم يا أبا عمر أنك أنت المسئول الوحيد عن هذه  
المهزلة ! لقد طفح الكيل . . وكثر العصاة والغوغاء ،  
وعمت الفتنة فى المساجد والساحات . . وستذهب  
أنت الضحية قبل منصور !

القاضى ← خفف من غلوائك أيها الوزير ، فلن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا . . . ولتأخذ الشريعة مجراها .

بل لا يتوجس القاضى من مدافعة الخليفة نفسه :

الخليفة ← لقد وقعت الفتنة وانتشر العصاة فى كل مكان ، فلا بد أن تصدر الحكم بإعدامه اليوم ، لتضع حداً لهذه الفتنة . . .

القاضى ← هذا ما يصبر إليه الوزير الأعظم ، لكنى أستمحكم العذر ، فليس لدى من براهين الاتهام أو اعترافه ما يبيح ذلك . .

الخليفة ← إن أعوزنا الدليل ، فيكفينا اعترافه .

القاضى ← هو لم يعترف بشيء ويشهد بإسلامه وإيمانه بالله ، ويصدق بالرسول والرسالة . . . . .

وسبق أن ذكرت أن زكى أقطاي جعل القاضى الحمادى يفكر فى أن ينسحب من هذه القضية ، لحيرته ، والتواء حلها عليه ، فرسم بذلك صورة مثالية للقاضى ، مستمداً إياها من أخبار التاريخ ، بعد أن أضاف إليها من خياله ما جعلها تبدو شامخة متعالية ، على العكس تماماً من صلاح عبد الصبور ، الذى جعله منافقاً يتملق السلطة ، وأولى النعمة . ونحن نفسر ذلك بأنه إما أن يكون متأثراً بما جاء فى مقال ماسينيون عن الحمادى ، وإما أن يكون أراد أن يدين واقعه المعاصر ،

ويرمز إلى أن القانون ورجاله أدوات في يد السلطة يسخرونها لبلوغ مآربهم .

### ( و ) العنصر النسائي :

جاءت مسرحية صلاح عبد الصبور خلواً من المرأة ومرد ذلك - في رأي - أن عبد الصبور لم يهتم بخلق جو من الدراما والصراع في مسرحيته بقدر اهتمامه بأن يتخذ من الحلاج قناعاً يتحدث من ورائه عن هموم عصره ، وآلام وآمال مجتمعه ، بل وآلامه هو الآخر . أما أقطاي ، فما كانت له رسالة «صلاح» ؛ ولهذا حرص أن يخرج مسرحيته في شكل درامي ، مزدحم بالأحداث والشخصيات . وقد احتلت المرأة مكاناً كبيراً في مسرحيته ، متمثلة في شخصية جلفدان ، التي يرق قلبها لحديث العشق الإلهي ، فراحت تنهياً للانقطاع لله ، فقالت بعدما سمعته من كلام منصور شيخها في لغة شاعرة حافلة برموز التصوف :

كان في قلبي ظل أسود لا أستطيع التحكم فيه  
يغشى عيني ، ويصيب رأسي بالدوار .  
لا يقر في مكان ، ولا يشغله شيء عني  
ولا يرضى بهذه الدنيا الفانية  
ثم اعتراني حال ، كحال الفراشة المحترقة ،  
حتى شققت بروحك الشافي ، هذا القلب .  
فصرت أنهض مع الفجر أتأمل دنيا الأبد ،  
وطردت الشبح الحالك من حياتي ،

لكأن روحى الآن تخلق من المساء حتى السحر ،

وكان نهر قلبى اجتاح سدوده

ثم تركت زوجها وولدها ، رغم صعوبة ذلك على الأم وخرجت فى  
سبيل الشوق والعشق هائمة ، غائبة عن نفسها . ثم قبضت الشرطة عليها ،  
ووقفت بين يدى الوزير حامد بن العباس ، الذى ركع لجمالها فراح يتودد  
إليها ويتوسل ، وأغراها بكل ما لديه من أثاث ورياش فأبت فى يقين  
الصادقين ، فأمر بحبسها فى حجرة مظلمة . وقد نبح أقطاي حين صور  
ضعف المرأة رغم قوة عقيدتها فجعلها موصولة الحنين إلى ابنها وزوجها ،  
فتبكى أحر البكاء إذا مر على خاطرها ذكر أحدهما ، فهى حين تذكر ابنها  
تبكى وتقول :

لكأنى أرى بالبيضاء أرضاً خربة

فيها ضل ولدى قدوس عن أبيه

يضرب فى الظلمات ، وعيناه تفيضان من الدمع

يبحث عني ، وينادى أمى . . . أمى !

يسائل القفار ، والوديان عن أثرى . .

وفى لونه شحوب اليتيم ، ولوعة الحزن

.....

.....

يصرخ ملتاعاً فى جوف القفار المظلم

يسائل الأنهار عن خبرى  
يصيح : جلفدان .. جلفدان ! تعالى أُمى !  
ولا داع ، ولا مجيب إلا الصدى ...  
يخيل إليه فى الظلمات أنه يرى طيفى ...  
فيفتح ذراعيه ، ويعدونى .  
يحسب أنه . قاب قوسين من عنقى وصدرى  
فتعصف ريح السراب بزهرة أمله وتذرى ....

وهى رغم حنينها ولوعتها من أجل ولدها وزوجها ، لا تتراجع فيما  
مضت فيه ، وإن كانت أحيانا تشعر بالضعف ، وهذا من شأنه أن يظهر  
شدة الصراع فى نفس جلفدان ، وخطورة الأهوال التى كابدتها من أجل  
غايتها السامية ... وبالرغم من الإفراج عنها ، وعودتها إلى أسرتها ،  
فإنها ظلت على وفائها لشيخها منصور الحلاج ، ففى يوم تنفيذ الحكم فيه  
شقت الصفوف وخرت أمامه راحة تقبل أغلاله ، وهى تبكى وتمرغ وجهها  
فى التراب وتقول :

« سألقاك عند الحبيب يا منصور ، وأجلك نفس الإجلال والتقدير  
وسأحيا بالإيمان وبالأمل ... فهما من بعض صبرك وشجاعتك » ...

وبهذا يكون أقطاى قد نجح فى تجسيد الصراع الداخلى والخارجى  
لدى جلفدان والقاضى ، فجعل الأولى موزعة بين عاطفة الأمومة ،  
وإغواء الوزير لها ، وبين ما وقر فى قلبها من شوق وجذب نحو الحقيقة

الأولى وجعل الثانى موزعاً بين ضغط السلطة عليه ، وبين يقظة ضميره الحى .

وإن كان أقطاي قد اختلق شخصية جلفدان اختلاقاً ، ليجعل مسرحيته حافلة بالدراما ، فإنه فيما عدا جلفدان وبعض الشهود المختلفين ، يترسم ما جاء فى أخبار الحلاج . وهو بالنسبة إلى صلاح عبد الصبور ، يبدو أكثر تمسكاً بالأحداث التاريخية التى طوعها لغرضه من تأليف المسرحية .

## ثانياً : المعالجة الموضوعية :

### ( ١ ) عند صلاح عبد الصبور

يقول صلاح عبد الصبور : « بطل وسقطته هذه هى مسرحيتى ، والسقطة سقطة تراجيدية ، كما فهمتها عن أرسطو ، نتيجة لخطأ لم يرتكبه البطل ، ولكنه فى تركيبه وباعث الخطأ هو الغرور وعدم التوسط ، وسقطة الحلاج هى مشهد البوح بعلاقته الحميمة بالله وباعثه هو الزهو بما نال ، وهو حين ارتكب هذه السقطة أباح للناس دمه ، إذ أفشى سر الصحة ، فسقطت مروءته أمام الله .

رعاك الله يا ولدى لماذا تستشير شجاي

وتجسلى أبوح بسر ما أعطى

ألا تعلم أن العشق سر بين مسحوبين

هو النجوى التى إن أعلنت سقطت مروءتنا

لأننا حينما جادلنا المحبوب بالوصل تنعمنا  
دخلنا السـتر ، أطعمنا أشربنا  
وراقصنا وأرقصنا ، وغنينا وغنينا  
وكوشفنا وكاشفنا ، وعوهدنا وعاهدنا  
فلما أقبل الصبح تفرقنا  
تعاهدنا بأن أكرم حتى أنطوى فى القبر<sup>(١)</sup>

نعم لم يستطع الحلاج أن يحبس النور بقلبه ، فكشف السـتر ،  
وأذاع السر ، وهو على يقين أنه بكشفه يبيح دمه ، وفى ذلك خلاصه ،  
وإتحافه بالوصول . فكان عبرة لجميع المتصوفة ، وبخاصة الشبلى  
صديقه ، الذى كان يشطح فى كلامه فى غير ما تخرج ، قبل قتل  
الحلاج ، فكان يقول :

« أنا النقطة التى تحت الباء » و « لو دبت نملة صماء فى ليلة ظلماء ،  
ولم أشعر بها أو أعلم بها ، لقلت إنه مذكور بى » فلما قتل الحلاج دارى  
وداور ، وأعلن ما يشبه التوبة ، وتمسح بالسنة ، ولكن فى غير إخلاص  
حقيقى<sup>(٢)</sup> .

(١) صلاح عبد الصبور / حياتى فى الشعر بيروت دار اقرأ ١٩٨١ ، ص ١٦٤ ، ١٦٥ .

(٢) د. عبد الرحمن بدوى : شطحات الصوفية ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٤٩ ، ص ٣١



**يقول صلاح :**

يقول : هو الحب سر النجاة ، تعشق تفز  
وتفنى بذات حبيبك ، تصبح أنت المصلى  
وأنت الصلوة .  
وأنت الديانة والرب والمسجد  
تعشقت حتى عشقت وتخيلت حتى رأيت  
رأيت حبيبي . وأتحفني بكمال الجمال  
جمال الكمال .  
فأتحفته بكمال المحبة .  
وأفانيت نفسي فيه (١)

هذه هي سقطه الحلاج عند صلاح ، أنه أفشى حديث الحب . لكننى أرى أنه لم يبرز خطورة تلك السقطة ، فأية جسامه وخطر فى هذا الكلام الذى ذكره ؟ ! هذا الكلام يقوله عامة المتصوفة . . . فأين صحيحة الحلاج الكبرى « أنا الحق » التى زلزلت قلوب الناس يومئذ ؟ فإذا علمنا أن الحلاج كان يسعى جاهدا من أجل الموت ، حتى لكأنه مخلصه الذى يبلغ به المأمول ، فهل تبقى السقطة سقطه ؟ لم يدرك الحلاج إحساس بالندم قط ، بل كان يمضى نحو الصلابة بشوق بالغ وهو يردد

(١) مأساة الحلاج ص ١٠١

« حق .. حق .. أنا الحق » حتى وإن اعتبرناها سقطة فإن عبد الصبور لم يظهرها فى شكلها الحقيقى الخطير ..

لقد أجاد صلاح فى تصوير الجانب القلق فى حياة الحلاج ، بل فى حياته هو فى الحقيقة ، فحيرة الحلاج كانت من أجل الوصول إلى حقيقة الحق تعالى ، أما حيرة صلاح فكانت بين السيف والكلمة ، وأرى أن السيف رمز للإصلاح الثورى ، والكلمة رمز للإصلاح الاجتماعى الذى يأتى عن طريق الوعظ والقدوة الحسنة ، يقول صلاح : ... أما القضية التى تطرحها .. مأساة الحلاج ، فقد كانت قضية خلاصى الشخصى . فقد كنت أعانى حيرة مدمرة إزاء كثير من ظواهر عصرنا ، وكانت الأمثلة تزدحم فى خاطرى ازدحاما مضطربا وكنت أسال نفسى السؤال الذى سألته الحلاج لنفسه : ماذا أفعل ؟ كان عذاب الحلاج طرحاً لعذاب المفكرين فى معظم المجتمعات الحديثة وحيرتهم بين السيف والكلمة ، بعد أن يرفضوا أن يكون خلاصهم الشخصى بإطراح مشكلات الكون والإنسان عن كواهلهم وهو غايتهم ، وبعد أن يؤثروا أن يحملوا عبء الإنسانية على كواهلهم . كانت مسرحيتى مأساة الحلاج معبرة عن الإيمان العظيم الذىبقى لى نقيا لاتشوبه شائبة ، وهو الإيمان بالكلمة<sup>(١)</sup> . نعم فالمشقف العصرى ، وبخاصة فى عالمنا الثالث ، يعيش نهبا لشتى التساؤلات ، موزع النفس بين المثال والواقع ، ممزق القلب حسرة على ماضيه الذى كان ،

(١) صلاح عبد الصبور : حياتى فى الشعر ، ١٦٥ ، ١٦٦

وحاضره المهين ، يعز عليه أن يرى أغلب أبناء وطنه يصرعهم الفقر والجهل  
والمرض ، الفقر يهدم ضمائرهم ، والجهل يهدم عقولهم ، والمرض يفتك  
بأجسامهم بينما أولو الأمر فى شغل شاغل ، يتقلبون فى أعطاف النعيم فيحار ،  
أىكون صلاح هذا المجتمع الفاسد عن طريق الكلمة الطيبة ، وتكوين ناشئة  
جديدة يؤمنون بالمبادئ والقيم ؟ ! لكن هل تلوح فى الحاضر القاتم بارقة  
أمل فى جيل قادم أفضل من هذا الجيل أم أن الأمور تمضى بسرعة من سيء  
إلى أسوأ ؟ ! يقول أدونيس :

هذا الجيل الطالع بعدى مثل هدير الأشياء  
هذا الجيل وقفت عليه غنائى  
لم يولد بعد ، فما فى الحاضر شيء يخلق منه الآتى  
هو محض فراغ ومتاهات  
لم يولد بعد ولكن ها هو ينبض فى أعماق الوطن  
ها هو يحرق ثوب العفن  
ها هو ينقب سدّ الأمس  
بيد الشمس . . . . . (١)

كان الحلاج - كما أراده صلاح - متردداً بين أن يعيش فى عزلة  
حالة ، بعيداً عن هموم مجتمعه ، فيغض الطرف عن عذابات الناس ،

(١) أدونيس (على أحمد سعيد) : الأعمال الكاملة ، ج ١ ، ديوان أوراق فى الريح ، دار

العودة ، بيروت ، سنة ١٩٧١

حيث يقاسون مرارة الفقر والظلم والقهر ، وبين أن يشارك الناس همومهم ، ويتزل إليهم ليطلع على أحوالهم عن قرب ، ثم يرفع صوته نائراً في وجه الظالمين لرفع الظلم عن الناس وهو لا شك سيقاسى ويعانى ، ويعرض للسجن وللقتل . . لكن لا ضير ، المهم أن تصنع كلماته شيئاً ، أن تسمعها آذان ، وتعيها عقول فيما بعد ، هو راض بأن يكون الضحية التى تقدم روحها قرباناً من أجل الناس . فما أقرب الشبه بينه وبين المسيح فى عقيدة المسيحيين !

وفى رأى أن هذه الفكرة من آثار المسيحية ، وأن عبد الصبور أراد أن يعيد للأذهان صورة المسيح فى شخص الحلاج<sup>(١)</sup> . لكنى أرى أن فكرة التلذذ بالعذاب والتضحية والفداء ، فكرة تنبع من تصوفنا الإسلامى ، فلقد تمتع كثير من متصوفة الإسلام بنزعة إنسانية عظيمة فأفسحوا من صدورهم للبشر جميعاً ، وراحوا يتمنون على الله أن يخصصهم وحدهم بالعذاب دون سائر الناس ، فهذا أبو يزيد البسطامى يقول : « رضيت بأن أحرق بالنار بدل خلقه شفقة عليهم » ويقول أيضاً : « أردت رحمة الله بالناس ، أكثر مما أردتها بنفسى » ثم يتمنى على الله أمنيته فى غاية الإنسانية فيناجيه قائلاً : « إلهى ! إن كان فى سابق علمك ، أنك تعذب أحداً من خلقك بالنار ، فعظم خلقى فيها حتى لا تسع معى غيرى<sup>(٢)</sup> . ولهذه الفكرة جذور عميقة عند الحلاج ، بدأت بتلذذه الشديد بالعذاب الحسى فما

(١) د. عبد القادر القط المسرحية ، ص ١٢٥

(٢) د. عبد الرحمن بدوى . شطحات الصوفية ، ٢٢ ، ٦٨

كان يطرب لشيء طربه للألم ، وهو القائل :

أريدك ، لا أريدك للثواب      ولكنى أريدك للعقاب  
فكل ما ربي قد نلت منها      سوى ملنوذ وجدى بالعذاب<sup>(١)</sup>

ويبدو أنه رأى فى العذاب نعمة كبيرة ، فراح يتمنى على الله أن يختصه وحده بها ، فأنشأ يناجى الله : « وبحقك لو بعث منى الجنة بلمحة من وقتى ، أو بطرفة من أحر أنفاسى ، لما اشتريتها ، ولو عرضت على النار بما فيها من ألوان عذابك لاستهونتها فى مقابلة ما أن فيه من حال استتارك منى . فاعف عن الخلق ولا تعف عنى ، وارحمهم ولا ترحمنى فلا أخاصمك لنفسى ، ولا أسألك بحقى ، فافعل بى ما تريد »<sup>(٢)</sup> بل لا يطمع متصوفة الإسلام فى دخول الجنة ، لأنها حجاب يحجبهم عن الحق ، بنعيمها الذى تركز إليه القلوب ، قال البسطامى : « الجنة هى الحجاب الأكبر ، لأن أهل الجنة سكنوا إلى الجنة ، وكل من سكن إلى الجنة سكن إلى سواه ؛ ومن سكن إلى سواه فهو محجوب »<sup>(٣)</sup> .

كان الشبلى عند صلاح ، يمثل العزلة والسلبية ، يرخى عينيه فى قلبه ، ويحرق فى النور الباطن ، ولا يشغل باله بالدنيا وما يدور فيها من خير وشر . وكان الحلاج رمزاً للمثقف المعاصر الذى يحمل هموم جيله

(١) ديوان الحلاج ، ص ٤٣

(٢) أخبار الحلاج ، ص ٦٨

(٣) شطحات الصوفية ، ص ٢٢

فوق رأسه ، ولا يرضيه أن تتحكم فئة قليلة من المترفين المرفهين فى أقوات  
ومصائر الأغلبية الساحقة من الفقراء والمرضى ، والموتى الأحياء . . . ولا أن  
يشقى العامة فى السعى والكد ، وتستثمر الطفيليات الخاصة دون أدنى جهد ،  
فيعطى الباطل ، ويحرم العامل . يقول صلاح :

الشبلى ← لا ، يا حلاج

إنى أخشى أن أهبط للناس  
قد أبسط أجفانى فوق الدنيا  
فأرى يسراها ،  
أتمنى النعمى واليسرى  
وأرى عسراها ، أتوقى العسرى  
ويموت النور بقلبى .

الحلاج ← لا ، يا شبلى

ما نضع عندئذ بالشر ؟

الشبلى ← الشر

ماذا تعنى بالشر ؟

الحلاج ← فقر الفقراء

جوع الجوعى ، فى أعينهم تتوهج  
ألفاظ لا أوقن معناها

أحيانا أقرأ فيها

« ها أنت ترانى

لكن تخشى أن تبصرنى

لعن الديان نفاقك »

أحيانا أقرأ فيها

« فى عينيك يذوى إشفاق تخشى

أن يفضح زهوك

ليسامحك الرحمن »

قد تدمع عيني عندئذ ، قد أتالم

أما ما يملأ قلبى خوفاً ، يضىنى روحى

فهى العين المرخاة الهدب فوق استفهام جارج

« أين الله » . . . . . ؟ (١)

هكذا أراد صلاح عبد الصبور أن يتحدث عن الفقر المادى ، والجوع  
إلى لقمة العيش التى تسد الرمق ، « ليس كالفقر داء عظيم يقتل المشاعر  
الإنسانية ، ويحطم كبرياء الإنسان ، ويؤدى به فى كثير من  
الأحيان إلى المهالك أو الرذائل » (٢) . نعم ، فالفقر يقتل الضمير ،

(١) مناساة العلاج / ٢٢ ، ٢٣

(٢) د. مفيد محمد قميحة الاتجاه الإنسانى فى الشعر العربى المعاصر ، دار الآفاق

الجديدة ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص ١٢٥

ويدفع صاحبه إلى اجتراح المعاصي والذنوب ، بل يقوده إلى الشك في عدالة السماء ؛ إذ ليس بالهين على النفوس الحرة الطامحة أن ترى العاقل الباطل يتقلب في النعيم ، والعاقل المخلص يتضور جوعا ، يحلم برغيف العيش ، ويحتال ليناله .. وهي مشكلة سماها « أبو حيان التوحيدي » : « حرمان الفاضل وإدراك الناقص » وقال عنها « ملكة المسائل والجواب عنها أمير الأجوبة ، وهي الشجى في الحلق ، والقذى في العين ، والغصة في الصدر ، والوقر على الظهر والشك في الجسم ، والحسرة في النفس .. » ولهذا المعنى خلع ابن الراوندى ربة الدين ، وقال أبو سعيد الحصرى بالشك وأحد فلان فى الإسلام ، وارتاب فى الحكمة . وهي المشكلة التى واجهها ابن الرومى .. فذهب طوال حياته يؤمن بالمصادفة العمياء . وبشيء سماه « الحفظ » .. ثم واجهها أبو حيان نفسه فعرف معنى القلق الوجودى ولم يجد فى تغيير الأهداف ما يهدى به نفسه ، وقد نظر إليها المتنبى من زاوية السياسة فرأى اختلال الميزان السياسى ، واعتقد أن الإصلاح لهذا الخلل هو وحده القادر على إصلاح الأحوال عامة ، ولا طريق لإصلاح الفساد فى دنيا السياسة إلا القوة فآمن بهذا المبدأ ... ولما جاء أبو العلاء نظر إلى المشكلة نفسها من جميع الزوايا ، فإذا به يدرك أن الأشياء جميعها قد اختلت ، العلاقات الاجتماعية فى ذلك كالسياسة ، والسياسة كالتدين ،



وخرج من ذلك كله بأعرض فلسفة تشاؤمية شكية عرفها الأدب العربى «(١)  
يقول صلاح :

وكنـت عـندمـا أحـس بالـرثاء  
للـبـؤسـاء الضـعـفـاء  
أود لو أطعمهم من قلبى الوجيع (٢)  
وها هو ذا القحط يدمر النفوس ، ويجعلها أداة طيعة فى يد إبليس :  
ويمشى القحط فى الأسواق ،  
يجبى جـزىة الأنفـاس  
من الأطفـال والمرضى  
حقيبتـه بلا قاع ، فلا تملأ إذ تعطى  
ورغبته بلا رى ، فلا تسكت أن تسأل  
وخلف القحط يمشى تحت  
ظل البـيـرق المرسل  
جنود القحط ، جيش الشر والـنـقـمة  
خلائقهم مشـوهة  
كـأن الذيل فـوق الرأس  
يقود خطاهم إبليس ، وهو وزير

(١) د إحسان عباس من الذى سرق النار ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت  
١٩٨٠ ، ص ٥٢ .

(٢) مناساة العلاج ، ص ٢٤



فلقد كنت أحب الحكمة  
أقضى صبيحي في دور العلم  
أو بين دكاكين الوراقين  
.....

كانت أمي تجمع كسرات الخبز  
وفضل الثوب  
من بعض بيوت التجار  
وأنا طفل لاهمة لي  
إلا في هذا اللغو المافون  
مرضت أمي ، قعدت عجزت ، ماتت  
هل ماتت جوعاً ، لا هذا تبسيط ساذج  
يلتذ به الشعراء الحمقى والوعاظ الأوغاد  
حتى يخفوا بمبالغة ممقوته  
وجه الصدق القاسي  
أمي ماتت جوعاً ،  
أمي عاشت جوعانة  
ولذا مرضت صبيحاً ،  
عجزت ظهراً ، ماتت قبل الليل<sup>(١)</sup>

(١) مأساة الحلاج ، ص ٧٠ - ٧٢ .

وفوق الفقر المادى هناك فقر أشد فتكا بالنفوس ، ذلك هو فقر الروح ، الذى يزرع الحقد فى النفوس ، ويحرم الناس من الطمأنينة واليقين :

ليس الفقر هو الجوع إلى المأكل ، والعرى إلى الكسوة .  
الفقر هو القهر  
الفقر هو استخدام الفقر لإذلال الروح  
الفقر هو استخدام الفقر لقتل الحب  
وذرع البغضاء  
الفقر يقول لأهل الثروة  
أكبره جمع الفقراء  
فهم يتمنون زوال النعمة عنك .  
ويقول لأهل الفقر  
إن جععت فكل لحم أخيك<sup>(١)</sup>

لكننا فى زماننا هذا قد جمعنا فقر الروح إلى فقر المادة :  
إن كانت شارة ذل ومهانة  
رمزاً يفضح أنا جمعنا فقر الروح  
إلى فقر المال ...<sup>(٢)</sup>

(١) مناساة العلاج ، ص ١٠٦ - ١٠٧ .

(٢) مناساة العلاج ، ص ٢٥ .

وهناك فوق ذلك ، الفساد السياسى ، وجبروت السلطة ، حيث  
السجن والقهر ، والظلم ، والحرية المفقودة :

والمسجونون المصفودون يسوقهم شرطى  
مذهب الـلـب  
قد أشـرع فى يده سوطاً لا يعرف  
من فى راحته قد وضعه  
من فوق ظهور المسجونين الصرعى قد رفعه  
ورجال ونساء قد فقدوا الحرية  
تخذتهم أرباب من دون الله عبيداً سخرى  
يا شـبلى  
الشر استولى فى ملكوت الله  
حدثنى .. كيف أغض العين عن الدنيا  
إلا أن يظلم قلبى<sup>(١)</sup>

لكن الشبلى بنزعتة السلبية يرى فى كلام الحلاج فضولاً ، فالشر قديم  
فى الكون ، وهل صلح الزمان فى أى وقت ، حتى نشور هذه الثورة من  
أجل فسادنا الحالى ؟ !

الشبلى ← يا حلاج

الشر قديم فى الكون

(١) مناساة الحلاج ، ص ٢٢

الشر أريد بمن فى الكون

كى يعرف ربه من ينجو ممن يتردى

وعلىنا أن يتدبر كل منا درب خلاصه<sup>(١)</sup> .

فيزلزل كلام الشبلى عقيدة الحلاج ، ويجعله موزعا بين عالمه الحالم  
الهادى ، وبين عالم الناس الطافح بالمخازى والمساوى ، الحلاج إنسانى  
النزعة بمعنى الكلمة ، ولا يمكن أن يتخلى عن نزعته ، ولكن ، ماذا  
يفعل ؟ !

الحلاج ← ياشبلى

دعنى أتأمل فيما قلت الآن

ها أنت تزلزلنى فى دارى

والسوق يزلزلنى أن أترك دارى

كلماتك تجذبنى يمنه . . .

وعيونى تجذبنى يسره<sup>(٢)</sup> .

وهذا الحوار القائم على التساؤل لا يكاد ينبىء بيقين حقيقى وإن بدا  
منه أن الحلاج يؤمن بنقيض ما يقول صاحبه . . وأزمة الحلاج الحقيقية  
أنه لا يستطيع الخلاص من وجدده الصوفى ، وهو يعلم مدى المفارقة بين

(١) مأساة الحلاج ، ص ٢٦

(٢) مأساة الحلاج ، ص ٢٦

تطلعه وعجزه ، وهو يقدم على الخروج إلى الناس ودعوتهم إلى الصلاح ،  
وكان ذلك امتداداً لحياته الروحية ووجدته الصوفى<sup>(١)</sup> ..

فيذكره الشبلى بالخرقة رمز الانخلاع من الدنيا ، فالصوفى الحق هو  
من يستوحش من الناس ويأنس بالله . فيثور الحلاج على كلامه ، إذ لا  
ينبغي أن تكون الخرقة ستاراً يحجبه عن معاناة الناس ، وإن كانت كذلك  
بحكم رسوم الطريقة ، فليخلعها الحلاج فى مرضاة الله ، وخلع الخرقة  
معناه التجرد عن طريق الاستسرار :

الحلاج ← تعنى هذى الخرقة

إن كانت قيداً فى أطرافى  
يلقيني فى بيتى جنب الجدران الصماء  
حتى لا يسمع أحبابى كلماتى  
فأنا أجفوها أخلعها يا شيخ  
إن كانت شارة ذل ومهانة  
رمزاً يفضح أنا جمعنا فقر الروح  
إلى فقر المال  
فأنا أجفوها ، أخلعها يا شيخ  
إن كانت ستراً منسوجاً من إنا نيتنا  
كى يحجبنا عن عين الناس ،  
فنحجب عن عين الله

(١) د . عبد القادر القط : المسرحية : ص ١٢٢ .

فأنا أجفوها ، أخلعها ياشيخ

يارب اشهد

هذا ثوبك

وشعار عبوديتنا لك

وأنا أجفوه أخلعه فى مرضاتك

اشهد

يارب اشهد<sup>(١)</sup> .

وها هو ذا الحلاج قد خلع الخرقة ، وهو يعلم تماما نهاية هذه المغامرة  
التي يقدم عليها ، يعلم أنه سيصبح هدفاً للاضطهاد والتعذيب ، لكن ،  
لابأس ! ثم يجد الحلاج نفسه أمام حيرة أكبر : ما هو المنهج الإصلاحى  
الذى يسير عليه ؟ هل يدعو الناس إلى الثورة .. أم يدعوهم إلى المحبة ؟  
أو هل يرفع سيفه .. أم يرفع صوته ؟ !

الحلاج ← لا أبكى حزنا ياولدى ، بل حيرة

من عجزى يقطر دمعى

من حيرة رأى وضلال ظنونى

يأتى شجوى ، ينسكب أنينى

هل عاقبنى ربى فى روحى ويقينى ؟

إذ أخفى عنى نوره

(١) مأساة الحلاج ص ٢٥ .



أم عن عيني حجبته غيوم الألفاظ المشتبهة

والأفكار المشتبهة ؟

أم هو يدعوني أن أختار لنفسي ؟

هبنى اخترت لنفسي ، ماذا أختار ؟

هل أرفع صوتي ؟

أم أرفع سيفي ؟

ماذا أختار ؟

ماذا أختار ؟ (١)

فالحلاج شخصية مركبة تتنازعها كثير من الخوافز ، لكنها جميعا تظل مرتبطة ، بوضعه الصوفي ، فهو يريد أن يخرج من عزلته الصوفية إلى الناس يدعوهم إلى إصلاح مجتمعهم وهو في الوقت نفسه غير موقن بخير السبل إلى تلك الدعوة ، أتراها تكون بالكلمة أم بالسيف ؟ وهو حين يخرج إلى الناس ليدعوهم بالكلمة لا يستطيع الخلاص من حذر الصوفي وتوجسه من خوض غمار الحياة . . . (٢)

ثم اختار الحلاج ، الكلمة القوية الصادقة التي لا تخشى في الحق لومة لائم ، وهو لا يهتم كثيراً بأن تجد كلمته أنصارا في الزمن الحالي ،

(١) مأساة الحلاج ص ٧٥ ، ٧٦

(٢) د عبد القادر القط المسرحية ، ص ١٢٠ .

المهم أن تبقى ، ولربما هيا لها الله فى زمن قادم من يستعذبها فؤاده ،  
ويكون من أهل السلطة والرأى ، فيرعاهما ويدعو إليها :

لا أملك إلا أن أتحدث

ولتنقل كلماتى الريح السواحة

ولأثبتها فى الأوراق شهادة إنسان

من أهل الرؤية

فلعل فؤاداً ظمأنا من أفئدة وجوه الأمة

يستعذب هذى الكلمات

فيخوض بها فى الطرقات

يرعاهما إن ولى الأمر

ويوفق بين القدرة والفكرة

ويزاوج بين الحكمة والفعل<sup>(١)</sup>

لكن ما هى هذه الكلمة التى كان الحلاج يريد أن يقولها ؟ !  
هل يقول للناس : صوموا ، صلوا ، أطيعوا الأحكام حتى لو سملوا أعينكم ،  
كما يقول الوعاظ ؟ ! وما هى القضية الرئيسية التى تعالجها هذه الكلمة ؟ !  
فى رأى ، أن عبد الصبور أراد أن يعالج بالكلمة أخطر قضية يمر بها  
العربى فى الوقت المعاصر ، وهى قضية فقدان الهوية ، وضعف الثقة

(١) مأساة الحلاج ص ١٠٥ ، ١٠٧

بالنفس واللامبالاة ، والتخاذل أمام الواقع الفاسد المهترى ، حتى ماتت -  
العزائم ، وأصبحنا مسخاً شائها ، فأراد عبد الصبور متقنعا بقناع الحلاج .  
أن يصرخ فى هذه الأمة الميتة ، ليعث فيها الروح :

الحلاج : هل تسألنى ماذا أنوى ؟

أنوى أن أنزل للناس

وأحدثهم عن رغبة ربى

الله قوى ، يا أبناء الله

كونوا مثله

الله فعول يا أبناء الله

كونوا مثله

الله عزيز يا أبناء الله . . . (١)

أراد الحلاج - صلاح عبد الصبور - أن يمتلك معجزة كلمة المسيح  
عليه السلام ، تلك الكلمة التى تبعث الروح فى هذا الرميم ، وتضرم النار  
فى هذا الهشيم . فهو يريد مجتمعاً قوياً عزيزاً لا يعرف الكسل والتخاذل ،  
ترفرف فوقه راية العدل ، فلا يغتر الحاكم بسلطانه ، فيستبد ويبطش ،  
بل يوازن بين القدرة والحكمة فيكون عادلاً رحيماً بالناس عطوفاً عليهم :

العدل مواقف

(١) مناساة الحلاج ص ٢٤ .

العدل سؤال أبدي يطرح كل هنية

.....

العدل حوار لا يتوقف

بين السلطان وسلطانة<sup>(١)</sup> .

يعيش الناس في هذا المجتمع في تكافل وتراحم ، وتواصل ،  
يمرحون تحت عباءة الشمس كالجمالان الوديعة ، لا يعرفون الحققد  
والبغضاء :

أبو عمر : هل تبغى أن يضع المسلم

في عنق المسلم سيف الحققد

الحلاج : لا .. يا سيد

بل أبغى لو مد المسلم للمسلم

كف الرحمة والود<sup>(٢)</sup>

ولهذا راح الحلاج يرسل رسائله إلى أحبائه المخلصين من الأمراء  
والقواد الذين لا يرضون عن فساد عصرهم ، وطغيان حكامهم ، وما كان  
يأمل من وراء رسائله ، إلا أن تؤثر فيهم ، فإن آل إليهم الأمر ذات يوم  
عملوا بما جاء فيها :

(١) مأساة الحلاج . ص ٨٩ .

(٢) مأساة الحلاج ص ٢٩ .

الشبلى ← قل لى يا حلاج

أوثقت بأن وجوه الأمة ممن تعرف

إن ولوا ظلوا أهل مودة ؟

الحلاج ← لا يعينى أن يرعوا ودى أو ينسوه

يعينى أن يرعوا كلماتى<sup>(١)</sup>

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هو : هل حققت كلمة الحلاج أهدافها عند صلاح عبد الصبور ؟ أرى أنها أخفقت فى تحقيق أى شىء ، فالحلاج البطل الشعبى الذى يسجن ، ويعذب من أجل فقراء الناس ، يشهد عليه هؤلاء الفقراء فى ساحة المحكمة بالكفر من أجل دينار واحد ، فباعوه بثمن بخس وكانوا فيه من الزاهدين :

صفونا . . . صفا . . صفا

الأجهر صوتا والأطول

وضعوه فى الصف الأول

ذو الصوت الخافت والمتوانى

وضعوه فى الصف الثانى

أعطوا كلا منا دينارا من ذهب قانى

براقاً لم تلمسه كف من قبل

قالوا : صيخوا زنديق كافر

صحننا زنديق كافر

(١) نفسه : ص ٩٥

قالوا : صيخوا فليقتل إنا نحمل دمه فى رقبتنا

فليقتل إنا نحمل دمه فى رقبتنا

قالوا : امضوا فمضينا

الأجهر صوتا والأطول

يمضى فى الصف الأول

ذو الصوت الخافت والمتوانى

يمضى فى الصف الثانى<sup>(١)</sup>

وهكذا راح الحلاج ، البطل الشعبى ضحية كلماته ، قتله الضعفاء  
الفقراء ، بالكلمة أيضا ، بشهادتهم المزورة من أجل لقمة العيش . ولعل  
صلاح عبد الصبور أراد أن يصور بشاعة الفقر فالحلاج بطلهم ، والمتحدث  
بلسانهم والمضحى بنفسه فى سبيل سعادتهم لكنهم لا يستطيعون مقاومة  
إغراء الدينار ليشتروا ما يملأ خواء بطونهم الجائعة فشهدوا شهادة فاجرة ..  
فكيف يمكن تحرير هذه النفوس ؟ ! كيف يتخلصون من الخوف ؟  
إن بلادة القاعدة العريضة من الناس ، وعدم مبالاتهم بالأمور تصيب  
الإنسان الغيور بالإحباط واليأس فى الإصلاح . كيف يمكن بعث الروح فى  
هذا الرميم ؟ !

(١) مأساة الحلاج . ص ١٠ ، ١١

فى عصر ملثا؁ قاس؁ وضمن  
لن يصنع ربى خارقة أو معجزة كى ينقذ  
جىلا من هلكى

قد ماتوا قبل الموت . (١)

إن الواقع الذى نأىاء؁ يقتل كل فكرة متأمة للإصلاح؁ ففساد  
المأتمع أكبر من أن يصلأه صوت واحد؁ وصاحب النفس السامىة  
عىش فى هذا الواقع غربىاً كصالح فى ثمود ! .. فلا أجد من أسمع  
وىعى عنه؁ ولا أجد من أشعر بأماله وآلامه؁ حتى أفكر هو الآخر فى  
أن أأرب لا مبالاة الناس؁ وعىش لذاته فقط . وىرى أأىانا أنه  
من العقل والحصافة؁ أن أأزم الصمت؁ ولا أأوح بأفكاره لأحد مهما كان  
قربىاً إأىه :

لا أأرى؁ وعلى كل؁ فالأأام غربىة

والعائل من أأأرز فى كلماته

لا أعرض بالسوء

لنظام أو شخص أو وضع أو قانون أو قاض

أو وال أو مأأسب أو أاكم (٢)

(١) مأساة الألاج ص ٣٢ .

(٢) مأساة الألاج ص ٥١

ولا يخفف من حسرة الشاعر أو المصلح سوى أمله فى المستقبل ، من  
يدرى . . قد يخلق الله من أصلاب هؤلاء الموتى جيلا حيا يقدر قيمة هذه  
الكلمة ، ويعمل لتحويلها إلى واقع !

قد خبت إذن ، لكن كلماتى ما خابت

فستأتى آذان تتأمل إذ تسمع

تتحدّر منها كلماتى فى القلب

وقلوب تصنع من ألفاظى قدرة

وتشدّ بها عصب الأذرع

ومواكب تمشى نحو النور . ولا ترجع

إلا أن تسقى بلعاب الشمس

روح الإنسان المقهورة الموضع<sup>(١)</sup>

هكذا أراد صلاح عبد الصبور أن يعبر عن معاناته كشاعر وإنسان  
نبيل يحمل فوق رأسه آلام ، وهموم جيله ، ففسر الجانب القلق من حياة  
الحلاج على أنه قلق وجودى ، وجعل ثورته اجتماعية من أجل تخليص  
هذا الجيل المطحون ، من أشدّ الآلام فتكا بروحه ، أعنى ألم الفقر  
الروحي ، والخواء الداخلى . ثم بحث فى قضية الشر والظلم ، فصور  
من خلال ذلك الحقيقة الشائنة للواقع المعاصر ، فالحلاج عنده بطل

(١) مأساة الحلاج . ص ٢٩ ، ٣٠ .



شعبي قدم روحه طائعا مختاراً في سبيل جموع الشعب واتخذ من الكلمة سلاحاً له ، لكن الكلمة لم تؤت ثمارها ، ولن تؤتيها الآن ، والأمل معقود على الجيل الجديد الذي لم يولد بعد ، فلعل الله يجعل فيه فئة كثيرة يعرفون ما للكلمة من خطر .

بهذا نستطيع أن نقول إن صلاح عبد الصبور الذي كان واقعاً تحت تأثير فلسفة « بشر الخافي » في الهروب من مواجهة العالم الحسى بمتناقضاته ، والتعلق بالصمت القاتل من إبطال كل الحواس ، والانفصال التام عن العالم :

احرص ألا تسمع

احرص ألا تنظر

احرص ألا تلمس

احرص ألا تتكلم

قف ..... !

قد تجاوز هذا الموقف السلبي في « مأساة الحلاج » نحو موقف إيجابي منفتح على الحياة ، موقف التمرد والثورة والاستشهاد من أجل الإنسان ، فاقترب الانتقال إلى الدراما عنده بموقف فكري ثوري .

ومع ذلك فإن « المسرحية لم تستطع أن تقدم لنا مأساة تعكس أمامنا المشاكل ، وتعمق الصراعات كما هو مفهوم في التراجيديا . . . وهذا بدوره أدى إلى الشعور بأن الحلاج لا يعاني مأساة وإنما هو أشبه بمن يتعرض لمؤامرة . . وربما كان السبب في ذلك هو توزيع المسرحية بين

محورين ، فالحلاج إما أنه صوفى ذو نزعة عملية اجتماعية ، وإما أنه زعيم من زعماء الفقراء ذو رداء صوفى . والمسرحية لا ترسم له صورة مستقيمة واضحة بحيث بدت كمؤامرة لاغتيال رجل صالح<sup>(١)</sup> .

ومما يعاب على البناء المسرحى لمأساة الحلاج ، تلك التقسيمات الثلاثية التى تشهدها فى كل منظر تقريباً ، فعندنا الثلاثة المتسكعون الفلاح والتاجر والواعظ ، وعندنا الحلاج والشبلى وإبراهيم بن فاتك وعندنا الحلاج مع السجينين ، وعندنا القضاة الثلاثة - ولو أن الشاعر تخفف قليلاً من هذه الثلاثيات ، لخفف بالتالى من غلبة الطابع (السيمترى) على تصميم البناء المسرحى . . . كما أن الشاعر استبعد العنصر النسائى من المسرحية ، فى حين أن توظيف المرأة لخدمة مراحل الحدث من شأنه تعميق إنسانية البطل<sup>(٢)</sup> .

كما عرض عبد الصبور فى مسرحيته لأهم أفكار الحلاج الصوفية ، فالحلاج من القائلين بأن « الله خلق آدم عليه السلام على صورته ليتجلى فيه حب الذات للذات ، فكان الحب هو علة الوجود الأولى ، والسبب فى الكثرة الوجودية ، ثم شاء الحق سبحانه أن يرى ذلك الحب الذاتى ماثلاً فى صورة خارجية يشاهدها ويخاطبها ، فنظر فى الأزل ، وأخرج من العدم صورة من نفسه لها كل صفاته وأسمائه ، وهى آدم الذى جعل الله صورته

(١) محمود عبد العزيز المواقى : المسرحية الشعرية بعد شوقى ، نسخة مخطوطة لرسالة

الدكتوراه ، بكلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ١١١ .

(٢) جلال العشرى ثقافتنا بين الأصالة والمعاصرة . الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ،

١٩٧١ ، ص ١٨٩ .

أبد الدهر ، ولما خلق آدم على هذا النحو عظمه ، ومجده واختاره لنفسه ،  
وكان من حيث ظهور الحق بصورته فيه وبه هو هو . . . . .<sup>(١)</sup> ، ولقد عبر  
صلاح عن هذه الفكرة بقوله :

أراد الله أن تجلى محاسنه ، وتستعلن أنواره

فأبدع من أثر القدرة العليا مثالا .

صاغه طينا

وألقي بين جنبيه ببعض الفيض من ذاته

وحلاه وزينه ، فكان صنيعه الإنسان

فنحن له كمرآة ، يطالع فوق صفحتها

جمال الذات مجلوا ، ويشهد حسنه فينا

فإن تصف قلوب الناس ، تأنس نظرة الرحمن

إلى مرآتنا ويديم نظره فتحينا

وإن تكدر قلوب الناس يصرف وجهه عنا

ويهجونا ويجفونا<sup>(٢)</sup> .

والحلاج - كعادة المتصوفة - من المؤمنين بضرورة العذاب الحسى ،  
ولزوم الرياضة الشاقة ليفنى الجسم تماماً فلا يبقى له حظ ، ويعيش الصوفى

(١) طواسين الحلاج : ١٢٩ ، ١٣٠ .

(٢) مأساة الحلاج . ص ٤٣ .

أما إن ابتلاه في روحه ، فغاب عنه وجفاه ، فتلك هي محنة الصوفي التي تزلزل كيانه ، وتجعله يشك في أهليته لمقام القرب ، فيبالغ في تعذيب نفسه حتى يأتيه الفرج . « والويل لمن يغيب بعد الحضور ، أو يهجر بعد الوصل » كما يقول الحلاج وها هو الحلاج يستبشر خيراً حين أشبعه الجلال ضرباً :

(١) أبو نصر السراج الطوسي ، اللمع في التصوف ، دار الكتب الحديثة ، ١٩٦٠ ، ص ٧٧ .  
(٢) أبو نصر السراج الطوسي ، اللمع نفسه ص ٧٧ .

كيف يقينى عندئذ أنك ترعى عهد الحب ؟  
لكنى الآن تيسقنت يقين القلب  
أنك تنظر لى ، ترعىانى  
مازالت تستعظمنى عينك  
مازلت ترانى أخلص عشاقك  
عين الله على  
وهداياه موصولة  
وطرائف نعمته مبدولة  
فهنئنا لى  
هنئنا لى (١) .

وهو يدعو ربه أن يجعل عذابه فى بدنه دون روحه :

عاقبنى يا محبوبى  
إنى بحت وخنت العهد  
لا تغفر لى ، فلقد ضاق القلب عن الوجد  
لكن عاقبنى عقاب الخصم خصيمه  
لا كعقاب المحبوب حبيبته

(١) منساة الحلاج ص ٦٦ .

لا تهجرني لا تصرف عني وجهك  
لا تقــــــــــــــطل روعي بدالك  
اجعل بدنى الناحل أو جلدى المتغصن  
أدوات عــــــــــــــــقـــــــــابك<sup>(١)</sup>.

كما عبر عبد الصبور عن فكرة اختص بها العلاج دون سائر المتصوفة  
أعنى فكرة تمنى الموت والإلحاح فى طلبه ، حتى نسبه البعض إلى مذهب  
الخلاص المسيحى الذى يؤكد أنه لا سعادة إلا فى خلاص الروح من حجاب  
وهو الجسد ، ولهذا يسعى لتحطيم هذا الحجاب وكل حجب أخرى من  
الشعائر تقف حاجزاً بينها وبين حقيقتها المطلقة<sup>(٢)</sup> .

کــان یقــول  
 إذا غسلت بالدماء هامتي وأغصني !  
 فقد توضأت وضوء الأنبياء .  
 كان يريد أن يموت ، كي يعود للسماء  
 كأنه طفل سـمـمـاوی شـرید  
 قد ضل عن أبيه في متاهة المساء  
 کــان یقــول :

(١) منسأة الحلاج . ص ٤٩ ، ٥٠ .

(٢) د. عبد القادر محمود ، الفلسفة الصوفية في الإسلام ص ٢٥٦

كان من يقتلنى محقق مشيئتى  
ومنفذ إرادة الرحمان  
لأنه يصوغ من تراب رجل فسان  
أسطورة وحكمة وفكرة  
كان يقتلنى :  
إن من يقتلنى سيدخل الجنان  
لأنه بسيفه أتم الدورة  
لأنه أغاث بالدماء إذ نخس الوريد  
شجيرة جديبة زرعتها بلفظى العقيم  
فدبت الحياة فيها ، طالت الأغصان  
مثمرة تعطى دون موعد ، بلا أوان  
وحينما أسلمه السلطان للقضاء  
ورده القضاء للسلطان  
ورده السلطان للسلطان  
ووشيت أعضاؤه بشمر الدماء  
تم له مـا شـاء  
هل نحرم العالم من شهيد ؟ (١)

(١) مناساة العلاج . ص ١٤ .

وتجدر الإشارة إلى أن فكرة تمنى الموت ، على أنه المخلص الأوحى  
للروح من همومها وآلامها ، موجودة لدى كثير من شعرائنا المعاصرين من  
بينهم صلاح عبد الصبور نفسه ، الذى يقول :

تعالى الله ، أنت وهبتنا هذا العذاب ، وهذه الآلام

لأنك حينما أبصرتنا لم نحل فى عينيك

تعالى الله هذا الكون موبوء ولا براء .

ولو ينصفنا الرحمن عجلً نحونا بالموت

تعالى الله هذا الكون لا يصلحه شيء

فأين الموت ، أين الموت ، أين الموت ؟<sup>(١)</sup>

ونجد لهذه الفكرة صدى كبيراً فى شعر الشابى ، فهو القائل :

إلى الموت يا ابن الحياة التعيس ، ففى الموت صوت الحياة الرحيم

إلى الموت ! إن عذبتك الدهور ، ففى الموت قلب الدهور الرحيم

إلى الموت ! فالموت روح جميل ، يرفرف من فوق تلك الغيوم

فروحا بفجر الخلود البهيج ، وما حوله من بنات النجوم<sup>(٢)</sup>

وهو الذى يصرع إلى الموت أن يأخذه فيقول مسترحماً :

.....

(١) صلاح عبد الصبور ، أحلام الفارس القديم ، قصيدة ، مذكرات الصوفى بشر الحافى .

(٢) أبو القاسم الشابى ديوان أغاني الحياة ، قصيدة ، إلى الموت .



خذنى إليك ! فقد ظمئت لكأسك الكدر الأمر

خذنى ! فقد أصبحت أرقب فى فضاك الجون فجرى

خذنى ! فما أشقى الذى يقضى الحياة بمثل أمرى<sup>(١)</sup>

ونختم الحديث عن مسرحية صلاح عبد الصبور بهذا السؤال : هل

كانت للحلاج نزعة اجتماعية إصلاحية حقاً ؟

فى رأى أن ما يفهم من سيرة الحلاج لا ينهض دليلاً على نزوعه

لحركة اجتماعية أو فكرة سياسية مكتملة ، بحيث يمكن اعتباره مصلحاً

اجتماعياً ، أو متمرداً سياسياً لأن نزول الحلاج إلى الناس كان عن شعور

روحى ، لا عن شعور اجتماعى ثورى .

« ... وعلى مقتضى هذا الفهم نرى أن ما فهمه عبد الصبور ،

أو غيره لا يتساوى مع حقيقة دعوة الحلاج ، ولا يعبر عن شخصيته

الروحية ... وتسقط محاولة عبد الصبور فى أن يرفع إلينا قيم الحرية

والعدل والتقدم ، من حياة هذا الصوفى الكبير ، الذى ما كاد يتزل إلى

الحياة حتى احتواها ، وكفر بناسها وتيقن أنه غريب عنها<sup>(٢)</sup> ...

### (ب) عند زكى أقطاي :

إن كان صلاح عبد الصبور لم يسبقه أحد من شعراء العرب قديماً

وحديثاً فى كتابة عمل شعرى كامل عن الحلاج ، فالأمر ليس كذلك عند

(١) أبو القاسم الشاذلى نفسه قصيدة إلى الموت

(٢) السحرتى . دراسات نقدية ، ص ٢٢٠ .

زكى أقطاي ، فهناك من بين شعراء الترك الأقدمين ، من يدعى «مريدى»  
نظم منظومة بعنوان « حلاج نامه » كما اطلعت فى مكتبة السليمانية  
بإستانبول على منظومة شعرية بعنوان « داستان منصور نامه » أى «أسطورة  
كتاب منصور » لمن يدعى محمد نيازى مصرى ، الملخص بـ « مصرى  
أفندى » وهى عبارة عن مخطوطة تقع فى اثنتين وثلاثين ورقة من القطع  
المتوسط ، تحت رقم 3572/2 تصوف ، كتبت بخط نسخ جميل كما كتبت  
العناوين بمداد أحمر وبهوامش بعض الصفحات تعليقات وشروح لبعض  
الرموز . ولم يذكر كاتبها اسمه واكتفى بأن قال : « تم الكتاب بعون  
الملك العزيز الوهاب على يد الفقير ، غفر ذنوبه لسنة خمسين ومائة وألف  
من شهر المحرم الحرام من يوم الأربعاء فى اليوم التاسع والعشرين » .

ولا تختلف صورة الحلاج عند أقطاي كثيراً عنها لدى « مصرى  
أفندى » ، فهما هو ذا يتغنى بتحفة العشق التى أتحفه بها الحق سبحانه ،  
فصار لا يعرف شيئاً عن دنيا الناس ، وما يخوضون فيه من أمر الصغائر  
والكبائر ؛ لأنه مستغرق فى مشاهدة أنوار التجلى :

أنا متعلق بالنور الأول ، بعينى وقلبى وروحى ،  
ولا أعرف لى ذنباً كسبته ، إلا أننى حلقت فى الملكوت ،  
أنا العاشق الأكبر لرب الخلود ،  
وكتابى لا يعرف الصغائر ولا الكبائر ،

لا يعرف إلا أصوات الحق التى تجلجل فى ربابى .

أنا قدرة الخالق . . أنا السر المخلوق

وبقلبى من تجلياته سر يسان

معنى الوجود ومفهومه من لدنه

أنا شمعة « ما وراء » و « ما سوى » وما « عكس »

أنا الكعبة ، أنا قبلة النور التى لا تخمد نارها

هذا جمال الكمال ، وكمال الجمال .

كل جزء خرج من الكل وإليه يعود

حيثئذ يخدم اللهيب شيئاً فشيئاً .

وما دام قد بلغ هذه المرتبة فى العشق ، فالأمور عنده سواء ، فلا

يفرق بين البقاء والفناء ، والبعد والقرب ، فكلها ظواهر عارضة ، أما

الحقيقة فهى تجلى الحق ، ومن يعرف حقيقة نفسه ، فكأنما عرف

حقيقة الحق ، هذا ما باح به الحلاج فى مجلس ضم كثيراً من شيوخ

الشريعة والحقيقة :

فى البقاء فناء ، وفى الفناء بقاء يا أصحاب

وأى جدوى للزمان والمكان والبعد والقرب يا أولى الألباب ؟

ليس هناك إلا تجلى القدرة .

ليس إلا جلجلة صوت الحق يا أهل الفطنة . .

أنا هو . . . وهو أنا فأنا الوجود والعدم

عرفت حقيقتى فقلت أنا الحق

فتنبهوا يا أهل الغفلة « ما ثم فرق »

ثم ما أقرب الشبه بين صبيحة غرور الحلاج عند مصرى أفندى :

« جملة الأشياء فى ذاتى وصور إسرافيل فى صوتى » ، وصيحته

عند أقطاى :

أنا عالم السر والغيب

أقول أنا الحق فى كل صوب

صوت الخلود من بعيد يدعونى

ومن الشفق نور يحدونى .

ولابد أن يقاسى الصوفى فى طريقه من الحيرة الواجفة ، التى تطيح

أحيانا بيقينه ، « فيعانى قلقاً لا يرحم أبداً ، ولا يقبل أمراً ،

ولا يبقى أحداً ، ويكابد شوقاً أضرمته المحبة ، فنفضت العيش ، وسلبت

السلوة ، ولم ينهها معرض دون اللقاء »<sup>(١)</sup> يقول أقطاى :

جعل الله تجلى كماله مع الحيرة

والتيه فى بلاد مجهولة سنين عدة

(١) حسن بن محمد الفركاوى القادري شرح منازل السائرين ، مطبعة المعهد العلمى الفرنسى

للآثار الشرقية ، ١٩٥٢ ، ص ٩٧ .

وجعل الخلود فى الاحتراق والألم

فلا يرى العبد أثراً للفناء والعدم

أجل ،

هذا قانون الحق وتلك هى الأبدية

لكن حيرة الحلاج هدتة إلى حقيقة الحق ، فسكر بخرم القرب ،  
ورفعت له الحجب ، فهياً نفسه للقاء ، ولم يبق أمامه ألا تقديم قربان  
الفداء :

« يا حبيبى ! يا عشقى وحبى الأكبر .. أنا قادم إليك .. . يا من  
تعرفون حبيبى ! يا من تعرفون الحق ! .. روحى عندكم . يا ملائكة  
السماء ، ويا غرباء الأرض ، ويا أقرباء حبيبى الأكبر! .. روحى عندكم ..  
يا مقربين يا محيرين .. يا هائمين .. ارفعوا الحجب .. أنا قادم إليكم .  
لم يعد أمام الحلاج إلا أن يهدم الهيكل ، ويحطم الصنم ،  
لينطلق من سجنه ، وليطوف بقصر البللور فى جذبه ، ويرشف بحر  
العشق مع حمائم أيك الحضرة ، هنالك يدرك الخلود الحقيقى ، ويهنا  
ببلوغ المراد :

السجن الحق يا صاحبى هو جسمك

يجذبك للطين ويمسك !

فمن أفناه وأحيا روحه .. .

شاهد فى قصر البللور طيفه !

فهي نسخ الصورة

ونرشف البحر مع الحمايم قطرة قطرة  
للروح في كل نفس عالمان  
فيهما نشد يا « هو »

ثم يصيح في الخليفة والوزير والقضاة ، والحضور يدعوهم إلى قتله وتخليصه

كلا .. كلا .. لن أزدجر !

أقول « أنا الحق » ولا وزر !

وكلامى حق

وكلامى حق

لا أعصى الحق ، وأتبع الخلق ، تلك هي الحكمة

ولا أذل لأحد ، لرفع ما تسمونه نكبة .

يا طالما قلت اقتلونى ! .. فالقتل فيه وصولى !

وهذا هو ربيع الوصول الأزلى مع حبيبى .

وفى آخر ليلة له ، أطلق سراح المسجونين معه فى السجن ، فهربوا

جميعاً ، وأبى أن يهرب معهم ، فلما فزع الحراس ولم يجدوا فى السجن

إلا إياه ، سأله :

كبير الحراس ← أين المسجونون يا منصور ؟

منصور ← أطلقت سراحهم .

كبير الحراس ← ولماذا لم تهرب معهم ؟

منصور ← لى مع خالقى أمر ، ومشيتة الحق ستنفذ هنا

ثم نفذ فيه الحكم ، فنال ما تحرق شوقاً إليه . . .

ثمة شىء آخر يتفق فيه الشعراء ، ألا وهو المناجاة ، فقد أورد «مصرى أفندى» فى منظومة ، مناجاتين ، كما أورد أقطاي فى مسرحيته أربع مناجات ، منها ثلاث لمنصور ، وواحدة لجلفدان . . « والمناجاة » أو «إلهى» فن قديم فى الأدب التركى الديوانى . . . وفيه يثنى الشاعر على الله ، ويذكره بآلائه ، ويرفع ضراعتيه ، ويسأل حاجته ، وجرت عادة معظم الشعراء القدامى على أن يستهلوا دواوينهم بالمناجاة وأغلبها كان يأخذ شكل الغزل أو القطعة أو المثنوى . وكثيراً ما كانوا يضمنون مناجاتهم بآيات من القرآن الكريم ، والحديث النبوى الشريف . . . ومن برع فى هذا الفن من الشعراء ، سنان باشا ( ١٤٤٠-١٤٨٦ ) ، وأشرف اوغلو الرومى ( ؟ - ١٤٦٩م ) ، والبغدادى ( ؟ - ١٥٥٦م ) والسلطان سليمان القانونى - محبى - ( ١٤٩٤ - ١٥٦٦م ) ونائلى ( ؟ - ١٦٦٦م ) والسلطان مصطفى الثانى - اقبالى - ( ١٦٦٤-١٧٠٣م ) وغالب لسكوفجلى ( ١٨٢٨ - ١٨٦٧م ) .

والواضح أن الحلاج فى مناجاته عند مصرى أفندى ، يختلف بعض الشىء عنه عند أقطاي ، فما زاد مصرى أفندى عن ذكر صفات الله ، وتمجيده وبلوغ الحلاج غاية مراده بعد القتل . أما أقطاي ، فمتحد بالطبيعة ،

هائم بين أغصانها وأشجارها وثمارها ووردها ، سابح في أنهارها ،  
مخلق في سمائها . ولعل الشاعر في ذلك متأثر بشفافية  
الرومانسين ، الذين يتفقون مع الصوفية في عشق الطبيعة ، والاتحاد بها  
يقول أقطاي :

في الغصن الفينان وفي الثرى  
وفي ماء النهر إذا جرى  
وفي الطرق الطويلة والشعاب  
تظهر قدرة الله دون حجاب  
أشجار البلوط ، وقباب السماء  
والثمار التي تميل بأغصانها فوق الغبراء  
والأرض المنتشية مع الفجر بالأنداء  
تشرح السر في جلاء  
في الذرة عالم لى  
وفي الغيب سلطان لى  
وفي شفق السحر ، ونحل الأصيل  
فرحة للورود ولى



ثمة ملحظ آخر فى المناجاة عند أقطاى ، وهو أنه حملها كثيراً من الشكوى والتوجع ، فكانت تصدر عن كبد حرى ، ونفس ملتاعة .

### كقوله :

يارب ! دعائى تردده السماء والأشجار  
ولو عتى يقاسيها معى النجم السيار  
يارب ! رأيت سحر الدنيا فى الربيع فجنتت  
وجرى بحر الحسن أمامى فارتويت  
يارب ! أنا ريشة تدفعها الريح فى مهبها !  
وقلبى يرفرف فى سماء ما أرحبها !  
آهتى تسمعها قوافل الهجرة  
وهى لهلكى العشق الأزلى نغمة ونسمة  
ربى وخالقى وإلهى .. أنا وردة فى روضة عشقك القاتل  
يارب ! ضقت بحبسى فى مكان مظلم  
ولى نواح كنواح البلبل .. يارب فارحم

غير أن هناك اختلافاً كبيراً بين الشاعرين فى أمر الشيخ الذى تلقى عنه العلاج ، أصول الطريقة . بل لعل زكى أقطاى يشذ فى هذه النقطة عن كل من تعرض لعقيدة العلاج من شعراء الترك الأقدمين؟ فلقد جعل مصرى أفندى رسول الله إماماً للعلاج ، وشيخاً مرشداً له ،

جريا على عادة المتصوفة فى إصرارهم على تأكيد تبعيتهم لرسول الله ،  
واهتدائهم به . أما أقطاى فقد استغل ما جاء فى الآثار عن نسبة جد  
الحلاج الذى كان يدعى « محمى » إلى « المجوسية » ، فجعله يفاخر بهذه  
النسبة ، ويباهى بأنه أخذ أصول طريقته عن زرادشت ، أحد أنبياء الفرس  
قبل الإسلام :

أنا الحق .. حيرنى الحق ... دلهنى الحق

أنا من أحفاد زرادشت نقلت عنه هذا السر الأكبر

ثم تحدث عن ثنائية الفطرة الإنسانية المركبة من النور والظلام ، وفقا للزرادشتية :

نحن فى حقيقتنا مزيج من النور والظلمة الظلماء

ثم انحسر النور بداخلنا ، وأخذ الظلام فى النماء

وبدأنا قتال مستمر بينهما

ونحن صرعى خصامهما !

ومرد ذلك أن الشاعر فضلا عن استيعابه للتراث الصوفى وبخاصة

تراث «يونس أمره» ، كان واقعاً تحت تأثير الميثولوجيا اليونانية .

ومن الواضح أن مسرحية أقطاى تختلف اختلافاً كبيراً عن

مسرحية صلاح عبد الصبور من حيث الفكرة والموضوع ، فمعالجة

صلاح لها اجتماعية سياسية ، عالج فيها قضايا الفقر المادى والروحى ،

وأبان عن مخازى مجتمعه ، وما يسوده من ظلم وقهر وبطش .

فكان الحلاج عنده بطلاً شعبياً ضحى بنفسه من أجل الفقراء والمساكين .

وكان معبراً عن رسالة المثقف الحقيقية فى المجتمع المعاصر ، وضرورة

أن يكسر حجاب العزلة والانطواء ، ليعيش هموم جيله ، ويسعى من أجل خلاص الناس من قيودهم وأغلالهم وهذا ما يعرف بالالتزام . أما الحلّاج عند آقطاي فهو صوفى ، جذبته أنوار التجلى ، فتعشق جمال الحبيب ، وعانى فى سبيل الوصول أشد المعاناة ، حتى ظفر فى النهاية بالوصول ، بعد أن قدم روحه قربانا لمن أحب . كما شاركته جلفدان تلك المعاناة الصوفية ، بعد أن اتخذت منه إماما لها تأتمر بأمره . فكان آقطاي فى مسرحيته معبراً عن روحانية التصوف التى ظلت مهيمنة على الأدب التركى فى جملته من لدن نشأته ، حتى عهد التنظيمات .

وبرغم اختلاف الشاعرين فى المعالجة فإنهما يتفقان فى أن الحلّاج صريع السياسة ، فهو عند صلاح قد أزعج السلطة ، لتبنيه قضية الجوع والقحط والظلم الواقع على من لا حول لهم ولا طول ، وهى قضية القاعدة العريضة من أبناء مجتمعنا ، فتخلصت منه السلطة لتسكت صوته وتأمين شره :

صوفى : يا قوم

هذا الشرطى استدرجه كى يكشف عن حاله

لكن هل أخذوه من أجل حديث الحب ؟

لا بل من أجل حديث القحط

أخذوه من أجلكم أنتم

من أجل الفقراء المرضى

جزية جيش القحط

الأعرج : هذا حق .. فالشرطة خدام السلطان  
ما للشرطة والحب ..... (١) .

وهو عند أقطاي ، درويش من الواصلين ، له سلطان كبير على  
قلوب الناس ، مهما اختلفت طبقاتهم ، والدولة تكره من يجتمع الناس  
حوله فأصحاب السلطة يريدون أن يلتف الناس حولهم وحدهم ، ويعتبرون  
من يستأثر بحب الناس منافسا لهم في سلطانهم ؛ ولهذا تخلصوا منه :  
الوزير « للخليفة » معلوم يا مولاي أننى أبغى صلاح الدين .  
والدولة ومنصور اليوم سلطان بلا ملك ،  
ويستطيع غدا أن يعتلى عرش بغداد ، فينتقم  
منا ، ويحكم السيف فى رقابنا ، وينشر عقيدته .

الخليفة : كيف ؟ ما معنى كلامك ؟ !

الوزير : يامولاي كل الأرواح والعفاريت عبيد له ،

والناس جميعا تحت تصرفه !

ولاشك أن اختلاف معالجة الشعراء الموضوعية لفكرة المسرحية ،  
جعلهما يختلفان فى البناء الدرامى ، فطوع كل منهما أدواته الفنية  
لخدمة فكرته . وقد حفلت مسرحية أقطاي بالدراما وكثرة الأحداث ،  
جنباً إلى جنب مع التجربة الصوفية برموزها وظلالها . وكانت مسرحية  
عبد الصبور سياسية اجتماعية ، حافلة بالجدل الفكرى الذى صاحب  
تجربة العلاج الصوفية .

(١) مناساة العلاج : ص ٤٨ .



## المشروع القومى للترجمة

اللفة العليا	جون كوين	ت . أحمد درويش
الوثنية والإسلام	ك. مدهو باننيكار	ت : أحمد فؤاد بليغ
التراث المسروق	جورج جيمس	ت . شوقي جلال
كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت . أحمد الحضري
ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت . محمد علاء الدين منصور
اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	ت . سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت . يوسف الأنطكى
مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت . مصطفى ماهر
التغيرات البيئية	أندرو س. جودى	ت . محمود محمد عاشور
خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت . محمد معصم وعبد الجليل الأزبى وعمر حلى
مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت . أحمد محمود
ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت . عبد الوهاب علوب
التحليل النفسى والأدب	جان بيلمان بويل	ت . حسن المودن
الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت . أشرف رفيق عفيفى
أثينة السوداء	مارتن برنال	ت . لطفى عبد الوهاب / فاروق القاضى / حسين
		الشيخ / منيرة كروان / عبد الوهاب علوب
مختارات	فيليب لاركين	ت . محمد مصطفى بدوى
الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت . طلعت شاهين
الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت . نعيم عطية
قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت . يعنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ت . ماجدة العنسى
مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت . سيد أحمد على الناصرى
تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت . سعيد توفيق
ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت . بكر عباس
مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت . إبراهيم الدسوقي شتا
دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت . أحمد محمد حسين هيكل
التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت . نخبة
رسالة فى التسامح	جون لوك	ت . منى أبو سنه
الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت . بدر الديب
الوثنية والإسلام (ط ٢)	ك. مدهو باننيكار	ت : أحمد فؤاد بليغ
مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	ت . عبد الستار الطوجى / عبد الوهاب علوب
الانقراض	بيفيد روس	ت . مصطفى إبراهيم فهمى
التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت . أحمد فؤاد بليغ
الرواية العربية	روجر آلن	ت . د. حصة إبراهيم المنيف

الأسطورة والحداثة	بول . ب . ديكسون	ت . خليل كلفت
نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت . حياة جاسم محمد
واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت . جمال عبد الرحيم
نقد الحداثة	آلن تورين	ت . أنور مغيث
الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت . منيرة كروان
قصائد حب	آن سكستون	ت . محمد عيد إبراهيم
ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	ت . عطف أحمد / إبراهيم قحى / محمود ملجد
عالم ماك	بنجامين بارير	ت . أحمد محمود
اللهب المزدوج	أوكتافيو پاث	ت . المهدي أخريف
بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلي	ت . مارلين تانرس
التراث المغنور	روبرت ج دنيا - جون ف أ فاين	ت . أحمد محمود
عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت . محمود السيد على
تاريخ النقد الأدبي الحديث (١)	رينيه ويليك	ت . مجاهد عبد المنعم مجاهد
حصارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت . ماهر جويجاتي
الإسلام في البلقان	ه . ت . نوريس	ت . عبد الوهاب علوب
ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت . محمد برانة وعثمانى الميود ويوسف الأتكي
مسار الرواية الإنسانو أمريكية	داريو بيانويبا وح . م بينياليستي	ت . محمد أبو العطا
العلاج النفسى التدعيمى	بيتر . ن . نوهاليس وستيفن . ج .	ت . لطفي فطيم وعادل دمرداش
الدراما والتعليم	روجسيفيتز وروجر بيل	
المفهوم الإغريقى للمسرح	أ . ف . ألنجتون	ت . مرسى سعد الدين
ما وراء العلم	ج . مايكل والتون	ت . محسن مصيلحي
الأعمال الشعرية الكاملة (١)	جون بولكنجهوم	ت . على يوسف على
الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت . محمود على مكى
مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت . محمود السيد . ماهر البطوطى
المحبرة	كارلوس مونييث	ت . محمد أبو العطا
التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت . السيد السيد سهيم
موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	ت . صبرى محمد عبد الغنى
لذة النص	رولان بارت	مراجعة وإشراف محمد الجوهري
تاريخ النقد الأدبي الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت . محمد خير البقاعى .
برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت . مجاهد عبد المنعم مجاهد
فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت . رمسيس عوض .
حمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت . رمسيس عوض .
مختارات	فرناندو بيسوا	ت . عبد اللطيف عبد الحليم
نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالتين راسبوتين	ت . المهدي أخريف
العالم الإسلامى فى نواى القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت . أشرف الصباغ
ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج روبريجت	ت . أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
		ت . عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد

السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت حسين محمود
السياسى العجوز	ت . س . إليوت	ت فؤاد مجلى
نقد استجابة القارئ	چين . ب . توميكنز	ت حسن ناظم وعلى حاكم
صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوفا	ت حسن بيومى
فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت أحمد درويش
چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من الكتاب	ت عبد المقصود عبد الكريم
تاريخ النقد الأدبى الحديث ج ٢	ربنيه ويليك	ت مجاهد عبد المنعم مجاهد
العولمة النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت أحمد محمود ونورا أمين
شعرية التأليف	بوريس أوسبينسكى	ت سعيد العانمى وناصر حلاوى
بوشكين عند «نافورة الدموع»	الكسندر بوشكين	ت مكارم الغمرى
الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	ت محمد طارق الشرقاوى
مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	ت محمود السيد على
مختارات	غوتفريد بن	ت خالد المعالى
موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت عبد الحميد شيعة
منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	ت عبد الرازق بركات
طول الليل	جمال مير صادقى	ت أحمد فتحى يوسف شتا
نون والقلم	جلال آل أحمد	ت ماجدة العبانى
الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	ت إبراهيم الدسوقي شتا
الطريق الثالث	أنتونى جينز	ت أحمد زايد ومحمد محبى الدين
وسم السيف	ميجل دى ترباتس	ت محمد إبراهيم مبروك
المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	ت محمد هناء عبد الفتاح
أساليب ومضامين المسرح		
الإسبانيونأمريكى المعاصر	كارلوس ميگل	ت نادية جمال الدين
محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	ت عبد الوهاب علوب
الحب الأول والصحة	صمويل بيكيت	ت فورية العشماوى
مختارات من المسرح الإشباني	أنطونيو بويرو بايخو	ت سرى محمد محمد عبد اللطيف
ثلاث زنقات ووردة	قصص مختارة	ت إيوار الخراط
الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	نماذج ومقالات	ت أشرف الصباغ
تاريخ السينما العالمية	ديفيد روبنسون	ت إبراهيم قنديل
مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت إبراهيم فتحى
السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبى	ت عز الدين الكتانى الإبريسى
النص الروائى (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	ت رشيد بنحو
قبر ابن عربى يليه آباء	عبد الوهاب المؤدب	ت محمد بنيس
أوبرا ماهوجنى	برتولت بريشت	ت عبد الغفار مكاوى
مدخل إلى النص الجامع	چيرارچينيت	ت عبد العزيز شبيل
الأدب الأندلسى	د . ماريا خيسوس روبيرامتى	ت . د . أشرف على دعور
صورة الغدائى فى الشعر الأمريكى المعاصر		ت محمد عبد الله الجعيدى



## ( نحت الطبع )

بارسيفال	المختار من نقد ت . س . إليوت
اثنتا عشرة مسرحية يونانية	عالم التليفزيون بين الجمال والعنف
مصر القديمة التاريخ الاجتماعى	حروب المياه
الخوف من المرايا	الأدب المقارن
النساء فى العالم النامى	راية التمرد
المرأة و الجريمة	ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى
غرفة تخص المرء وحده	الفجر الكاذب
العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	الشعر الأمريكى المعاصر
عدالة الهنود	نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان
جان كوكتو على شاشة السينما	الشرق يصعد ثانية
الأرضة	الجانب الدينى للفلسفة
مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية	الولاية
غرام الفراغة	ثقافة العولة
نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية والقوانين المعالجة	الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية
القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	حيث تلتقى الأنهار
صاحبة اللوكاندة	النظرية الشعرية عند إليوت وأونيس
مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع	المدارس الجمالية الكبرى
الاحتجاج الهادئ	التحليل الموسيقى
المرأة والجنوسة فى الإسلام	الإسكندرية تاريخ ودليل
	مختارات من الشعر اليونانى الحديث

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

---

رقم الإيداع ١٠٠٣٩ / ١٩٩٨

الترقيم الدولي (3 - 034 - 305 - 977 - I. S. B. N.)









## Mansur-1 Hallac Salih Zaki Aktay

تعتبر أعمال المبدع صالح زكي أقطاي امتداداً فكرياً للتراث الإسلامي والحضاري، والفكري للكتاب المبدعين الذين نشأوا في مضمار، أو تحت مظلة الغطاء الحضاري للحضارة الإسلامية المشرقة في تركيا، رغم العلمانية التي حاولت أن تفرض سطوتها على المناخ الثقافي التركي، طوال ما يزيد عن سبعين سنة خلت.

وتأتي مسرحية «منصور الحلاج» التي تعتبر مأساة في خمسة فصول، على رأس قائمة أعمال الشاعر التركي، صالح زكي أقطاي المسرحية، أبداع فيها، ومزج مزجاً جميلاً بين النثر والشعر، كما طاف بنا - في ثنايا المسرحية - بين ربوع عالم التصوف، مستغرقاً في الفكر تارة، ومبسطاً لمبادئ التصوف تارة أخرى. حيناً ينتصر للشريعة، وأحياناً يطوف بنا في عوالم الفكر الصوفي دون استغراق في التعقيد؛ مما جعل المسرحية متعة فكرية، وتحفة أدبية، وإبداعاً مسرحياً، شاهدته الأوساط الأدبية والفكرية خلال الخمسينيات من هذا القرن؛ حيث طبعت هذه المسرحية سنة ١٩٤٤م.